التفسير الجامع

فضيلة الشّيخ الدّكتور محمّد عبد السّتّار السّيّد

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة

القرآن الكريم معجزةٌ خالدةٌ لكلّ زمانٍ ومكانٍ، وعطاؤه متجدّدٌ لا ينفد، وكلّما تطوّر العقل البشريّ استطاع أن يستمدّ من القرآن الكريم وعلومه ما يوافق التّطوّر العلميّ الّذي وصل إليه.

وآيات القرآن الكريم مكتنزةٌ بعطائها العلميّ والفكريّ والرّوحيّ، وهو كتاب هدايةٍ فيه إشاراتٌ علميّةٌ لا يمكن أن تُصادم العقل البشريّ في أيّ زمنٍ من الأزمان.

وهذا التّفسير هو محاولة تدبّرٍ لآيات كتاب الله امتثالاً لأمره سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ٢٤﴾ [محمّد]، متمسّكين بهدي نبيّنا محمّد ﷺ، فهو الّذي عليه نزل وبه أخذ وعمِل، فقد كان ﷺ قرآناً يمشي بين النّاس في نهجه وسيرته وسلوكه وهديه وأقواله وأفعاله وبالعلم الّذي به أمر ﷺ.

فكان هذا التّفسير الجامع محاولةً عصريّةً للأخذ من عطاء القرآن الّذي لم يفرغ في زمن النّزول، وإنّما تعدّى كلّ العصور، ومواكبةً لتطوّر العقل البشريّ ومعطيات العلم الحديث في فهم النّصّ من خلال التّفكّر والتّعقّل والتّدبّر الّذي أمر به القرآن الكريم: (أفلا يعقلون، أفلا يتفكّرون، أفلا يتدبّرون، أفلا ينظرون).

والله وليّ التّوفيق

الشّيخ الدكتور محمّد عبد الستّار السيّد

الجُزءُ الثَّامن

سورة الأنعام من الآية (١١١-١٦٥)

سـورة الأعراف من الآية (١-٨٧)

(الآية ١١١) - ﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾:

﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾: لو نزلت الملائكة أمامهم، وقام الموتى من قبورهم فكلّموهم وقالوا لهم: إنّنا محشورون.

﴿وَحَشَرْنَا﴾: الحشر: هو الجمع بضغط.

﴿كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾: أي كلّ شيءٍ أمامهم ينظرون إليه.

﴿مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾: ربط سبحانه وتعالى كلّ شيءٍ بطلاقة قدرته. يقول أحدهم: ما ذنبي أنّه لم يهدني؟ طالما أنّه شاء ألّا يهديني، المشيئة لله تبارك وتعالى بأنّه وضع لك اختياراً تختار بين الخير والشّرّ، بين الإيمان والشّرك، بين الحقّ والباطل، فلو شاء سبحانه وتعالى ما ترك لك الخيار، كما قال جلّ جلاله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصّلت]، وقال جلّ وعلا: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب]، أمانة الاختيار، أمانة العقل، الخيارات البديلة أمامه تتعلّق هنا بالمشيئة الإلهيّة، فعندما تقول: الله سبحانه وتعالى لم يهدني ولو شاء لهداني، أنت لم تختر، بل مشيئته أن جعل لك اختياراً، فلو شاء لسلبك القدرة على الاختيار، لذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾: نقف عند كلمة الجهل، هل الجهل هو

الأمّيّة؟ الجواب: لا، فالأمّيّ شيءٌ والجاهل شيءٌ آخر، الأمّيّ شخصٌ لا يعلم، فإذا قمت بتعليمه تعلّم، أمّا الجاهل هو الّذي يعلم خطأً ويصرّ ويستكبر على الخطأ، لذلك سمّي عمرو بن هشامٍ بأبي جهل، فهو الجاهل الّذي يعرف ويحرّف.

(الآية ١١٢) - ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾:

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: أي إشارةٌ إلى كلّ ما سبق.

﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾: لماذا جعل الله ﷻ لكلّ نبيٍّ عدوّاً؟ الجواب: لأنّ الشّرّ له رسالةٌ، وإذا أردت أن يظهر الأمر ويُعرف فانظر إلى ضدّه، كما قيل: وبضدّها تتميّز الأشياء، إذاً عندما يرى النّاس أنّ الشّرّ قد طغى يتوقون إلى الخير، لذلك جعل الله ﷻ لكلّ نبيٍّ عدوّاً.

﴿عَدُوًّا﴾: العدوّ هو جنديٌّ من جنود الله ﷻ حتّى ينتشر الخير، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدّثر: من الآية ٣١]، مثلاً: الألم شيءٌ سيّءٌ بالنّسبة للإنسان، لكنّه جنديٌّ من جنود العافية؛ لأنّه عندما يتألّم المريض في منطقةٍ ما فكأنّما هذا الألم يحثّ بقيّة الجسد ليتحرّك، الكريّات البيض وغيرها، ويتحرّك الإنسان أيضاً إلى الطّبيب والمشفى من جرّاء هذا الألم، وأخطر الأمراض الّتي تفتك بالجسد هي الّتي لا ألم معها، إذاً فعندما يجعل الله ﷻ لكلّ نبيٍّ عدوّاً فهذه مشيئةٌ إلهيّةٌ، فالله ﷻ جعل للشّرّ رسالةً يجب

أن تؤدّى، في مجمل الحياة الدّنيا ليلاً ونهاراً، هناك تقابلٌ، لذلك نقول لأهل الحقّ: ألّا يحزنوا؛ لأنّهم إن اعتقدوا أنّهم سيعيشون بين الأنهار والظّلال والخيرات فهذا ليس طريق الأنبياء عليهم السلام، فطريق الأنبياء هو مواجهة الباطل بالحقّ، ومواجهة الشّرّ بالخير.

ووجود العداوة بين الحقّ والباطل، والخير والشّرّ سنّةٌ من سنن الله تبارك وتعالى، ولولا انتشار الشّرّ ما كان للخير مطالبون، فالنّاس تطالب بالخير عندما ترى الشّرّ، وتطالب بالحقّ عندما يعمّ الباطل، فوجود العدوّ يُعَدّ خيراً لكي يتحفّز الإنسان للخير، يقول الإمام الشّافعيّ:

عِداتي لهم فضلٌ عليّ ومِنَّةٌ   فلا أبعدَ الرّحمنُ عنّي الأعَادِيا
هُم بحثُوا عن زَلَّتي فاجتَنَبْتُهَا   وهُمْ نَافسُوني فاكتَسَبْتُ المعَالِيا

وكلمة عدوّ تأتي للمفرد والمثنّى والجمع، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧﴾ [الشّعراء]، أي كلّ الأصنام والتّماثيل عدوٌّ لي، واستخدم الكلمة ذاتها في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝٢٤﴾ [الأعراف]، لكن نجد أنّ المولى سبحانه وتعالى في آياتٍ أخرى يستخدم كلمة أعداء ولا يستخدم كلمة عدوّ، يقول المولى سبحانه وتعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: من الآية ١٠٣]، فمتى تأتي كلمة أعداء؟ ومتى تأتي كلمة عدوّ؟ الجواب: عندما تكون العداوة لأسبابٍ متعدّدةٍ، (عدوٌّ يُعاديك لمنصبك، وعدوٌّ يُعاديك لعملك، وعدوٌّ يُعاديك لنجاحك)، يستخدم المولى سبحانه وتعالى كلمة: ﴿أَعْدَآءً﴾،

أمّا إن اجتمع كلّ الأعداء لسببٍ واحدٍ فيستخدم كلمة: ﴿عَدُوٌّ﴾؛ لأنّ كلّ التّماثيل شيءٌ واحدٌ وعداوةٌ واحدةٌ.

﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾: الشّيطان: لغةً مشتقٌّ من (شطن) بمعنى: بَعُدَ، فهو بعيدٌ عن الخير مُستغرقٌ في الشّرّ، واصطلاحاً: اسمٌ لكلّ شريرٍ مُفسدٍ من الجنّ والإنسِ، فالشّرير والقاتل والمجرم والسّارق والمفتري والكذّاب والمحتال والنّصّاب.. هذه كلّها صفاتٌ وأسماءٌ لشياطين الإنس، وشياطين الجنّ هم الجنّ الكافر، قال ﷻ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ٦﴾ [النّاس].

﴿يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾: الوحي: هو الإعلام بخفاءٍ، إذاً شياطين الإنس والجنّ هؤلاء الأعداء وهؤلاء الحاقدون والحاسدون يوحي بعضهم بخفاءٍ إلى بعضٍ، دائماً تُحاك المؤامرات بالأقبية المظلمة، لذلك قال ﷻ: ﴿يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾، الزّخرف: هو تزيينٌ لجمال العرض، الشّيء المزيّن ظاهره الفاسد باطنه، تزخرفه حتّى تغطي ما تحته، فزُخرف القول أي أنّك تضمر العداء وتزخرف القول وكأنّك صديقٌ أو حبيبٌ، فالتّزيين أن يُعطي الإنسان شكلاً غير الحقيقيّ، والوسوسة: هي صوت الحليّ، فمَن الّذي يُحبّ صوت الحليّ؟ هؤلاء الّذين يريدون الأموال ويحبّونها، وقد جعل وسوسة الشّيطان الّتي تغري وتزخرف الباطل للنّاس وتغيّر معالم الحقّ.

﴿غُرُورٗاۚ﴾: لأنّ الإنسان يغترّ فيعتقد أنّ هذا يفيد وينفع، فهو يرى الزّخرف ولا يرى الحقيقة، فإذاً هو اغترّ بهذا الأمر.

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ﴾: كلّ شيءٍ يعود إلى طلاقة القدرة وإلى مشيئة الرّحمن ﷻ، فمشيئته ﷻ لو أراد ألّا يكون كلّ ذلك فلن يكون.

﴿فَذَرۡهُمۡ﴾: دعهم يا محمّد.

﴿وَمَا يَفۡتَرُونَ﴾: هم يختلقون الكذب، فذرهم؛ لأنّهم لن يغيّروا من واقع الأمر شيئاً؛ ولأنّ النّتيجة ستكون للحقّ كما قال ﷻ: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ٨١﴾ [الإسراء]، فلذلك دعهم، هناك أعداءٌ يكذّبون ويفترون، والله ﷻ مؤيّدك وناصرك ومُعينك ومُعزّك.

(الآية ١١٣) - ﴿وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ١١٣﴾:

من الّذي سيستجيب للوسوسة؟ إنّه مَن يستمع لها، وهناك فارقٌ بين السّمع والاستماع، الاستماع يكون باهتمامٍ وتتبّعٍ، الأذن ليس لها جفنٌ تغلقه مثل العين، فهي تسمع كلّ الأصوات، أمّا كلمة: (تستمع) فتختلف، والإصغاء: هو نوعٌ من الاستماع باهتمامٍ، مَن الّذي يصغي إلى أقوالهم؟ الأفئدة الّتي قلّبناها؛ لأنّ القلب مريضٌ عندما يصغي أي يستمع للوسوسة، وينفّذ ما يطلبه هؤلاء الأعداء وهؤلاء الحاسدون والحاقدون.

﴿وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾: هنا يجب أن نتوقّف، لماذا قال: ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾، ولم يقل: لا يؤمنون بالله ﷻ؟ الجواب: لأنّ

الإيمان بالآخرة هو أحد أهمّ عناصر الإيمان بالله ﷻ الّتي تفيد الدّنيا، فإن لم يكن هناك آخرةٌ فهذه كارثةٌ، ودائماً الله ﷻ يؤكّد على الإيمان بالآخرة، فالظّالم لن يفلت من ظلمه، والسّارق لن يفلت، والإنسان سيُحاسب، وإنّنا لم نُخلَق هكذا، فنحن لسنا بغابةٍ يأكل القويّ الضّعيف والغنيّ الفقير، فالّذي ظُلم يقتصّ الله ﷻ له، والظّالم سيلقى جزاءه، والله ﷻ هو العدل، فالمشهد من قسمين، ولا يكون إلّا من خلال رؤية الدّنيا وفي المقابل الآخرة، فاليوم عملٌ ولا حساب، وغداً حسابٌ ولا عمل.

﴿وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ﴾: هذه الجمل الثّلاث يسمّيها علماء النّفس حديثاً: الإدراك والوجدان والنّزوع، الإدراك: ﴿وَلِتَصۡغَىٰٓ﴾، الوجدان: ﴿وَلِيَرۡضَوۡهُ﴾، والنّزوع: ﴿وَلِيَقۡتَرِفُواْ﴾، هذه تُدرّس بعلم النّفس، وجاء بها القرآن الكريم، والمعنى: لتستمع إليه أفئدة الّذين لا يؤمنون بالآخرة، وليرضوا بما يسمعون، وليقترفوا ما يقترفوا بناءً على هذا الوحيّ الخفيّ بين بعضهم، فبعد الرّضا يأتي الاقتراف والعمل بذلك.

(الآية ١١٤) - ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١١٤﴾:

﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا﴾: الّذي يحكم ويفصل بين النّاس في قضاياهم وفي أمورهم هو ربّ النّاس وخالقهم ﷻ، فهو يعلم ما ينفع

لمخلوقاته وما لا ينفع، فالسّؤال: أفغير الله ﷻ أبتغي حكماً؟ أي لا نبتغي حكماً إلّا الله ﷻ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: أي أنّه أنزل إليك الكتاب يا محمّد ليكون حكماً بينهم، وليكون هذا الكتاب هدايةً لهم.

﴿مُفَصَّلٗاۚ﴾: واضحاً. هذا الكتاب يوضّح كلّ حكمٍ أو كلّ قضاءٍ من أقضية هذه الحياة.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾: كان اليهود في المدينة المنوّرة يعلمون أنّ القرآن الكريم منزّلٌ بالحق؛ لأنّه ورد في توراتهم كلّ أوصاف النّبيّ ﷺ، وكلّ ما يتعلّق برسالته ﷺ.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾: الممترين أي الشّاكّين، هو يخاطب النّبيّ ﷺ لكنّ هذا الخطاب لأمّته ﷺ، أي لا تكونوا من الشّاكّين وأحسنوا الظّنّ بالله ﷻ.

(الآية ١١٥) - ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١١٥﴾:

﴿وَتَمَّتۡ﴾: أي هناك بدايةٌ ولها خاتمةٌ، ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: من الآية ٣]، فكأنّها تمام الرّسالة.

﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: تقول: ألقى فلانٌ كلمةً، الكلمة: هي كلماتٌ، وعندما وردت بقوله: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، فهي تعني جمع كلّ الكلمات، والكلمة هنا تعني القرآن الكريم الّذي استوعب كلّ قضايا الحياة.

﴿صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾: صدقاً وعدلاً؛ لأنّ الواقع الكونيّ الّذي يأتي يصدّق كلّ الأمور الّتي وردت في القرآن الكريم، لذلك قال جلّ جلاله: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾، وكذلك الكلمة هي الوعد بنصر الله سبحانه وتعالى، كما وردت في الآية المتعلّقة بالهجرة: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠﴾ [التّوبة]، توقّف النّحاة والعلماء والمشكّكون بالقرآن الكريم، وقالوا: لماذا رُفعت ﴿وَكَلِمَةُ﴾ بينما هي معطوفةٌ على النّصب؟ أي وفق كلامهم يجب أن تكون: (جعل كلمةَ الّذين كفروا السّفلى وكلمةَ الله)، وليس: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾، لكنّ الله سبحانه وتعالى رفعها ولم ينصبها، حتّى تعلم بأنّه كلام ربٍّ وليس كلام عبدٍ؛ لأنّ كلمة الله سبحانه وتعالى ابتداءً هي العليا، فإذاً تكون مبتدأ ولا تكون أبداً مجعولةً أو مفعولةً، فلا تُعطف على النّصب، ودائماً تُرفَع كلمة الله فهي العليا، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١﴾ [الصّافّات].

﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ﴾: لا تحريف للقرآن الكريم أبداً، ولا مبدّل لأوامره ولا مبدّل لقضائه.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾: صفتان من صفات الله سبحانه وتعالى وردتا في تذييل الآية لنتعرّف عليه، فكيف تثق بمن لا تعرف؟ كيف تعبد من لا تعرف؟ من أين يأتيك اليقين وحسن الظّنّ إن كنت لا تعرفه؟ كيف تحبّه وهو غيبٌ

عنك، فأنت لا تراه ولكنّه يراك؟ الجواب: ستعرفه من خلال صفاته الّتي وردت في نهاية كلّ آيةٍ، فقال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، ﴿وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾، ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، ولكن لماذا قال هنا: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، وقال هناك: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، وهناك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾؟ كلّ جملةٍ في القرآن الكريم جاذبةٌ لمعناها، فتأتي أسماء الله ﷻ الّتي تعبّر عن صفاته جاذبةً لمعناها، هنا يقول المولى ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، يتحدّث عن كلمة الله ﷻ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، ويتحدّث عن قوله ﷻ: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ۝١١٣﴾، وذكرنا أنّ الإصغاء هو الاستماع فجاء قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، فهو ليس فقط (سميعٌ)، وهي صيغة مبالغةٍ، لكنّه أيضاً (عليمٌ)، فهو يعلم إضافةً إلى أنّه يسمع، فعندما يعطيك هذه الصّفات مرّةً تعرف بأنّه: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ومرّةً تعرف بأنّه: ﴿لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾، ومرّةً تعرف بأنّه: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، ومرّةً تعرف بأنّه: ﴿قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، ومرّةً تعرف بأنّه: ﴿ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾، ومرّةً تعرف بأنه: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾، ومرّةً تعرف بأنّه: ﴿ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ﴾، ومرّةً تعرف بأنه: ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ﴾، ومرّةً تعرف أنه: ﴿تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾، إذاً الله ﷻ يعرّفك بذاته القدسيّة من خلال صفاته الّتي تأتي في تذييل الآيات، فتكون هذه الصّفات جاذبةً للمعنى الّذي جاء في بداية الآية من كتاب الله ﷻ حتّى تصل إلى مرحلةٍ

هي مرحلة الثّقة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحسن الظّنّ به جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾، لا تكن من الشّاكّين، ويقول النّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يموتنّ أحدكم إلّا وهو يُحسن الظّنّ بالله عَزَّ وَجَلَّ**»[1]، ويقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على لسان رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث القدسيّ: «**أنا عند حسن ظنّ عبدي بي**»[2]، فكيف تُحسن الظّنّ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟ الجواب: إذا عرفت الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وعرفت بأنّه: سميعٌ عليمٌ، وبأنّه: محييٌ مميتٌ، وأنّه شديد العقاب، وأنّه لطيفٌ خبيرٌ، وأنّه حكيمٌ عظيمٌ، تتعرّف على صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فتثق بقدرته وبقضائه وبأنّ الخير بين يديه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالثّقة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هي عنوانٌ جاء في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ١١٤﴾، لا تشكّوا أبداً بالله عَزَّ وَجَلَّ ولا بوعده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ولا بكلماته عَزَّ وَجَلَّ.

عندما كان النّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكّة وكان أصحابه مضطهدين مُعذَّبين، قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: بينما رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلّي عند البيت وأبو جهل وأصحابٌ له جلوسٌ وقد نُحِرت جَزورٌ بالأمس، فقال أبو جهل: أيّكم يقوم إلى سَلا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه بين كتفي محمّدٍ إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه فلمّا سجد النّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضعه بين كتفيه، قال:

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظّنّ بالله تعالى عند الموت، الحديث رقم (٢٨٧٧).

(٢) شعب الإيمان: العاشر، فصل في إدامة ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ، الحديث رقم (٥٥٠).

فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعضٍ، وأنا قائمٌ أنظر، لو كانت لي مَنَعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ، والنّبيّ ﷺ ساجدٌ ما يرفع رأسه حتّى انطلق إنسانٌ فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويريّةٌ فطرحته عنه ثمّ أقبلت عليهم تشتمهم، فلمّا قضى النّبيّ ﷺ صلاته رفع صوته ثمّ دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً، ثمّ قال: «**اللّهمّ عليك بقريش**»، ثلاث مرّات، فلمّا سمعوا صوته ذهب عنهم الضّحك وخافوا دعوته، ثمّ قال: «**اللّهمّ عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة ابن ربيعة والوليد بن عقبة وأميّة بن خلف وعقبة بن أبي معيط**»، وذكر السّابع ولم أحفظه، فوالّذي بعث محمّداً ﷺ بالحقّ لقد رأيت الّذين سمّى صرعى يوم بدرٍ، ثمّ سحبوا إلى القليب قلَيب بدر[1]، ومرّت الأيّام وها هي معركة بدرٍ بعد الهجرة حيث كان مع رسول الله ﷺ قلّةٌ من المؤمنين الّذين أُخرجوا من ديارهم بغير حقٍّ وأوذوا واضطهدوا واعتدي عليهم، وبالمقابل هناك على رأس جيشٍ جرّار أبو جهل وأميّة بن خلف والوليد بن ربيعة وعتبة وشيبة، السّبعة الّذين ذكرهم النّبيّ ﷺ كانوا يقرعون الطّبول ويرقصون وهم يقتربون من بدر، ولديهم الثّقة الخادعة الكاذبة، فهم يثقون بقوّتهم، وهذه هي طبيعة الحياة، فمثلاً أنت تثق بفلان فتجعل كلّ حملك عليه، أنت تثق بمالك فتعتقد أنّك تستطيع أن تشتري الكون بمالك، أنت تثق

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسّير، باب ما لقي النّبيّ ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، الحديث رقم (١٧٩٤).

بقوّتك وبصحّتك فتعتقد أنّك قادرٌ على كلّ شيءٍ، أنت تثق بجاه فلانٍ ممّن تتقرّب إليهم أو ممّن تعرفهم،... فهؤلاء كانوا يثقون بقوّتهم وبعددهم وعتادهم وعدّتهم فيقتربون ويقرعون الطّبول ويرقصون؛ لأنّهم يثقون بكلّ هذه العناصر، وإذا نظرنا إلى المشهد الآخر، ذلك العظيم ﷺ الّذي يقف وتسقط العباءة من على كتفيه وهو يقول: (اللّهمّ نصرك الّذي وعدتني) والصّدّيق رضي الله عنه يقول له: هوّن عليك يا رسول الله، فإنّ الله منجزٌ ما وعدك، في هذه اللّحظات كان النّبيّ ﷺ يقول لأصحابه: (هنا موقع أبي جهل عمرو بن هشام هنا مصرع عتبة بن ربيعة هنا مصرع الوليد بن شيبة)، عدّ السّبعة وهو يشير بإصبعه إلى مواطنهم، يقول عبد الله بن مسعود: فوالله الّذي لا إله غيره ما تخلّف واحدٌ منهم عن المكان الّذي أشار إليه رسول الله ﷺ بإصبعه؛ لأنّ ثقته كانت بالله سبحانه وتعالى، ثقته بمن عرفه، بالقويّ، بالعزيز، بالمعين، بالخالق، بالّذي هو على كلّ شيءٍ قدير، فحسن الظّنّ بالله سبحانه وتعالى جزءٌ لا يتجزّأ من الإيمان.

(الآية ١١٦) - ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ١١٦﴾:

﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾: هناك كثيرٌ من الّذين يحاولون أن يأخذوا النّاس إلى اتّجاه الضّلال، والخطاب هنا لأمّة النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام؛ لأنّه ﷺ لن يطيع إلّا الله سبحانه وتعالى، لكن عندما يقول المولى سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ﴾، أو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا

﴿تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ﴾ [الأحزاب: من الآية ١]، هو أمرٌ لأمّة النّبيّ ﷺ فهو سيّد المتّقين، وهنا يقول: لا تطيعوا هؤلاء؛ لأنّ أكثر من في الأرض سيضلّونكم عن سبيل الله ﷻ وعن الصّراط المستقيم الّذي أمر به الله ﷻ، لماذا؟ الجواب: لأنّهم لا يتّبعون إلّا الظّنّ وإن هم إلّا يخرصون.

(الآية ١١٧) - ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١١٧﴾:

الله ﷻ يعلم من سيسير في الضّلال؛ لأنّ هناك تقليبٌ للأفئدة والأبصار، فالمولى ﷻ يعلم من هو المهتدي ومن الّذي سيضلّ، فأنت يا محمّد ما عليك إلّا البلاغ، ذكّر إنّما أنت مذكّر، والله ﷻ هو أعلم بمن سيضلّ وسيسير على هذه الطّريق، أنت عليك فقط البلاغ، وعليك فقط بالتّذكير وليس عليك الهداية، يقول ﷻ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦﴾ [القصص]، وهناك آيةٌ أخرى تقول: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾ [الشّورى: من الآية ٥٢]، الفارق أنّك تهدي هداية الدّلالة، تهدي كلّ البشريّة إلى صراطٍ مستقيمٍ، أمّا هداية المعونة فهي من الله ﷻ، وهي الّتي تدخل إلى القلب، فإنّك لا تهدي يا محمّد من أحببت، ولن تستطيع أن تدخل إلى قلوبهم حتّى تهديهم.

(الآية ١١٨) - ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ١١٨﴾:

ما هي المناسبة لكي تأتي هذه الآيات المتعلّقة بذكر اسم الله ﷻ عند

الأكل، وما يتعلّق بذبح الأنعام وغير ذلك؟ الآيات السّابقة كان المولى ﷻ يتحدّث فيها عن الكافرين والمشركين وما فعلوه: ﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الأنعام]، فيبيّن الله ﷻ بأنّ لكلّ نبيٍّ عدوّاً، قال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام]، وهناك كثيرٌ من الآيات الّتي تتعلّق بموضوع عداوات النّاس للأنبياء عليهم السلام، وهذه العداوات هي من فضل الله ﷻ على البشريّة، وهي تُظهر الحقّ، فالله ﷻ أرسل الأنبياء عليهم السلام وجعل لهم أعداء يصطادون في الثّغرات، وكما نرى في أيّامنا كيف يحاول كثيرٌ من النّاس الاصطياد في ثغرات أيّ أمرٍ يتعلّق بالإسلام، نحن لا نقول: إنّها ثغرةٌ، لكن هم في أذهانهم جعلوا الإسلام مرادفاً للإرهاب، وجعلوا الكره والبغض والحقد وإلغاء الآخر عنواناً للإسلام، والحقيقة ليست كذلك، لكن هذا هو الأسلوب ذاته الّذي استخدموه في أيّام النّبيّ ﷺ، هنا المولى ﷻ يردّ على قولهم بقوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾، لماذا؟ الجواب: لأنّ الله ﷻ أحلّ حلالاً وحرّم حراماً: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [النّحل: من الآية ١١٥]، فقالوا: كيف يحلّل الله ﷻ لك أن تأكل ما تقتله أنت ولا يحلّل لك ما يقتله ﷻ؟ فهم لم يفرّقوا بين الموت والقتل، هم أرادوا ثغرةً في الشّريعة الإسلاميّة، فهذا تشويشٌ وتحريفٌ

للحقيقة، والحقيقة غير ذلك تماماً، ذكرنا في آياتٍ سابقةٍ مرّت بنا بأنّ المولى سبحانه وتعالى فرّق بين الموت وبين القتل عندما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ﴾ [آل عمران: من الآية ١٤٤]، فالإنسان عبارةٌ عن جسدٍ وروحٍ، والموت هو خروجٌ للرّوح من دون هدمٍ للبنية، لكنّ الله سبحانه وتعالى جعل قانوناً بأنّك إذا خرّبت البنية تخرج الرّوح بأمره سبحانه وتعالى، فهو حرّم الميتة الّتي ماتت من غير ذبحٍ، وبعد تقدّم العلم تبيّن أن تحريم الميتة هو من مصلحة الإنسان، فعندما تقول: أُضحية، تكون قد ضحّيت بالدّم الصّالح مقابل الدّم الفاسد؛ ففي الجسد دمٌ صالحٌ ودمٌ فاسدٌ، وعند ذبح الحيوان يخرج الدّم الصّالح والدّم الفاسد، فمن مصلحة الإنسان وحفاظاً على صحّته ألّا يأكل الدّم الفاسد الملوّث بالفضلات في جسم الحيوان.

﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾: عندما ننفّذ أمراً إلهيّاً فعلّة التّنفيذ هي الإيمان، علمنا الحكمة أم لم نعلم، فأنت تؤمن بالله سبحانه وتعالى، وبأنّك مخلوقٌ له عزّ وجلّ، وأنّه سبحانه وتعالى خلق الإنسان ويعلم ما يصلح له، فإذا حرّم شيئاً فهو يحرّمه لمصلحته، وإذا حلّل فإنّما يسخّره سبحانه وتعالى لمصلحة الإنسان، وعندما جاءت هذه الآية بدأوا يقولون: كيف تأكلون ممّا تقتلون ولا تأكلون ممّا قتل الله؟ هذا تشويشٌ وتدليسٌ وإرجافٌ للحقّ، لذلك يردّ المولى سبحانه وتعالى عليهم بقوله:

(الآية ١١٩) - ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ١١٩﴾:

يقول النّبيّ ﷺ: «**كلّ أمرٍ ذي بال لا يُبدَأ فيه ببسم الله الرّحمن الرّحيم فهو أقطع**»[1]، أي مقطوع النّتيجة، فكلّ أمرٍ ذي بالٍ يجب أن نبدأه ببسم الله الرّحمن الرّحيم، فالتّكبير على الحيوان قبل ذبحه ذكرٌ لاسم الله سبحانه وتعالى، ولكن إن لم يُذكر اسم الله سبحانه وتعالى فقد قال الإمام أبو حنيفة: بأنّه إذا لم تذكر ناسياً صحّ لك أن تأكل؛ لأنّك مؤمنٌ، أمّا إن تعمّدت ألّا تسمّي الله سبحانه وتعالى قبل ذبح الحيوان أو كان الذّبح لغير الله سبحانه وتعالى، كذبحٍ للأصنام فهنا يكون حراماً، وحتّى عند الطّعام تبدأ ببسم الله الرّحمن الرّحيم.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: دائماً هناك سعةٌ في الدّين، والضّرورات تبيح المحظورات، والضّرورة تقدّر بقدرها، فعندما حرّم الله سبحانه وتعالى الميتة أجاز للإنسان في حال الضّرورة أن يأكل من الدّم أو من لحم الميتة إذا كانت حياته متوقّفةً على ذلك، أي لم يبق أمامه إلّا الموت أو أن يأكل من هذا المحرّم فإنّه عند الضّرورة يأكل منه.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: هل هناك من يضلّ بغير الهوى؟ الجواب: نعم؛ لأنّ الضّلال عكس الهداية، فإمّا أن تضلّ وأنت لا تعلم بأنّ نتيجة عدم علمك بالشّيء أنّك تضلّ، وإمّا أنّك تعلم فإذاً أنت تضلّ بهوى وبرغبة نفسٍ بهذا الإضلال.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾: الّذي يُضلّ الآخرين فقد اعتدى عليهم؛ لأنّ العدوان ليس فقط هو العدوان الجسديّ، لكنّ العدوان بأن

---

(١) طبقات الشّافعيّة الكبرى: الحديث رقم (٣).

تحرف هذا الإنسان عن القيميّة الّتي جاء بها القرآن الكريم، فقد حلّل الله تبارك وتعالى لنا من الحيوانات وذلّلها وحلّل الأكل منها، وإيّاك أن تقول: يحرم ذبح الخروف لنأكله؛ لأنّ مهمّة الخروف وغيره من الحيوانات الّتي ذلّلها الله سبحانه وتعالى أن تؤكل.

(الآية ١٢٠) - ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ١٢٠﴾:

الإثم: هو كلّ فعلٍ مضرٍّ، وتقنيّات البشر تُحارب ظاهر الإثم، فتحاول دائماً أن تمنع السّرقة والاعتداء والرّشوة وغيرها، أمّا ربّ البشر فيحمينا من باطن الإثم قبل ظاهره، ولا شكّ أنّ باطن الإثم أعنف من ظاهره؛ لأنّه المحرّك لظاهر الإثم والعداوات، ويتضمّن أمراض القلب، أي الحقد والغلّ والحسد والكراهيّة..، مثال: الحسد يحرّك العداوات ويقطع الأرحام، والحقد يؤدّي إلى القتل...، لذلك نقول: إنّ المجتمعات عندما تتّبع نهج الله سبحانه وتعالى فإنّها تضمن الخيريّة للغير؛ لأنّك عندما تمنع الإنسان من أن يسرق فإنّك تمنع النّاس من أن يسرقوا منك، فإذاً هي حمايةٌ للغير، نحن نقول: إنّ الإسلام هو دعوة الخير للغير، وعندما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة: من الآية ٨٣]، ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النّحل]، كلّها لمصلحة البشريّة وليست لمصلحة المسلم فقط، فخيرك يأخذه غيرك.

﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ﴾: من سيراقب باطن الإثم؟ عندما نتحدّث

عن الأخلاق نقول: لا بدّ من ارتباط الأخلاق بالدّين، فلا يمكن للأخلاق أن تعمّ من دون الارتباط بالدّين؛ لأنّ الدّين هو الّذي يحارب باطن الإثم والّذي هو سبب سوء الأخلاق، فسبحانه يكون الرّقيب على وجدانكم وعلى سرائركم ولا يستطيع أحدٌ أن يراقب الوجدان والسّرائر غيره ﷻ، في الوقت ذاته إذا علمت أنّ الله ﷻ رقيبٌ على قلبك من حسدٍ أو بغضٍ أو كرهٍ أو نميمةٍ أو أيّ أمرٍ، فإنّ الأخلاق تستقيم برقابة الله ﷻ على باطن الإثم، أمّا لو أنّنا قلنا: نحن نريد أخلاقاً عاليةً، وكلّ النّاس يحبّون الأخلاق ومكارم الأخلاق، وسنضع قانوناً من أجل تنظيم الأمور وحماية الأملاك والحماية من السّرقة والرّشوة والاختلاس والغشّ والخداع... فإنّ ذلك لن يضمن باطن الإثم، والّذي هو مصدرٌ لظاهر الإثم، لذلك فالله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ﴾، إن الّذين يكسبون الإثم سيجزون عند الله ﷻ، فهناك جزاءٌ على باطن الإثم كما هو على ظاهره، والمولى ﷻ يضمن بأنّهم سيجزون بما كانوا يقترفون، وسمّاه كسباً وهو اقترافٌ لباطن الإثم إضافةً لظاهره.

(الآية ١٢١) - ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٌۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ١٢١﴾:

﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾: لا يجوز أن تأكل ممّا لم يذكر اسم الله ﷻ عليه، فما هو الذّكر؟ الجواب: الذّكر هو ضدّ النّسيان، وهو أن يمرّ شيءٌ على بالك، ويعبّر عنه بأمورٍ متعدّدةٍ بترداد عباراتٍ،

فعندما نقول: ذكر الله سبحانه وتعالى، أي أنّك تعيش معه سبحانه وتعالى، ولا تنساه جلّ جلاله.

﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٌۗ﴾: الفسق هو الخروج عن الطّاعة، يُقال: فسقت التّمرة، أي خرجت جلدة التّمرة عند نضجها.

﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ﴾: الشّيطان هو العاصي من الجنّ والإنس، فهؤلاء يوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم، لِمَ تأكلون من هذه ولا تأكلون من هذه؟ هذا الجدل الّذي دخلوا فيه سابقاً، كيف تأكلون الّذي تقتلونه ولا تأكلون ممّا قتله الله سبحانه وتعالى؟!

﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾: فإذا أطعتموهم أو رفضتم ذكر اسم الله سبحانه وتعالى فإنّكم تشركون به جلّ جلاله.

(الآية ١٢٢) - ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢﴾:

عندما قال سبحانه وتعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا﴾، أي مات فعلاً، أي لا حياة فيه لا حراك، أمّا (ميّت) فتعني أنّه ما زال حيّاً كقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠﴾ [الزّمر]، فالله سبحانه وتعالى يخاطب النّبيّ صلى الله عليه وسلم وهو حيّ.

﴿وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا﴾: والمقصود بالنّور هنا نور القيم، فالحياة بالنّسبة للإنسان هي حياةٌ بالرّوح والجسد، أمّا حياة القيم فهي النّور الّذي يكون في الصّدور، ومصدر هذه الحياة هو القرآن الكريم، لذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ [الشّورى: من الآية ٥٢]، وكم تحدّث المولى سبحانه وتعالى عن نور

القرآن الكريم كقوله ﷻ: ﴿۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥﴾ [النّور]، إلى ما هنالك من الآيات.

﴿يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾: الله ﷻ يأخذ الحسّيات ليدلّل بها على المعنويات، فإن لم يكن للإنسان نورٌ سيتخبّط النّاس بعضهم ببعض، فنور القيم هو الّذي يمنع عنك تخبّط البشر.

﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾: التّزيين هو إظهار الشّيء على غير حقيقته لقبوله، فهو ليس من أصل الشّيء، وعندما قال ﷻ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾ [آل عمران]، زُيّن مبني للمجهول، وهنا يقول ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾، لماذا بناها للمجهول؟ وهل المقصود بأنّ الله ﷻ زيّن للكافرين ما كانوا يعملون من أجل الابتلاء والاختبار؟ الجواب: لا، هذا التّزيين يكون من شياطين الإنس والجنّ، لذلك بناها المولى ﷻ للمجهول، والصّحيح في أصل الأشياء بأنّه لا يتمّ شيءٌ في مُلكه خارجٌ عن إرادته ﷻ، والله ﷻ جعل لكلّ شيءٍ سبباً، فإيحاء شياطين الإنس والجنّ وتزيينهم للباطل يأتي هنا: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾،

زُيّن لهم السّوء، لماذا زُيّن للكافرين ولم يُزيّن للمؤمنين؟ الجواب: لأنّ المؤمنين رأوا بنور القيم الحقيقة، بينما الكفّار لا يملكون نوراً يمشون به بين النّاس فوقعوا في التّزيين، فلا تقل: بأنّ الله ﷻ هو الّذي ظلمهم بأنّه زيّن لهم ما كانوا يعملون، وإنّما لأنّهم لم يأخذوا بالهداية ولم يأخذوا بنور القرآن الكريم.

(الآية ١٢٣) - ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾:

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كذلك: إشارةٌ إلى كلّ ما سبق، وكلّ ما يتعلّق بما حدث مع الأنبياء عليهم السلام.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾: قد يقول قائلٌ: فما ذنبهم إذاً؟ الجواب: لأنّ الله ﷻ بيّن لهم وأعطاهم طريق الهداية، ولكنّهم بضلالهم اختاروا طريق الغواية وطريق الضّلال، فعند اختيارك للضّلال أو الهداية فالله ﷻ يعينك على اختيارك، وستُحاسَب عليه.

والمجرم: من كلمة جرم، أي قطع، فهو مقطوعٌ عن المجتمع بأفعاله الشّريرة، والمجرمون هم الّذين يقتلون ويخرجون عن كلّ القيم والأخلاق، ويريدون الباطل ليحقّقوا مصالحهم ومآربهم على حساب النّاس.

واللّام هنا في قوله ﷻ: ﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾، هي لام العاقبة والصّيرورة وليست لام التّعليل، فالله ﷻ لا يظلم النّاس، وإنّما هؤلاء المجرمون بجرائمهم وبما ارتكبوه بحقّ النّاس يخرجون عن المنهج الإلهيّ الّذي يأتي بالخير للغير وبالرّحمة للبشريّة ويمنع الاعتداء على النّاس ويمنع القتل والسّرقة والرّشوة

والكذب والغيبة ويمنع كلّ أنواع الشّرور والآثام، ففعل الخيرات هو أساس سلوكيّات الدّين السّماويّ عبر كلّ الأنبياء من لدن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى سيّدنا محمّد ﷺ، لذلك بيّن النّبيّ ﷺ هذا الأمر قائلاً: «**الخلق عيال الله، وأحبّ عباد الله إلى الله أنفعهم لعياله**»[1]، وليس أكثرهم شروراً بحقّ عياله، ولم يقل: أكثرهم صلاةً ولا صياماً ولا حجّاً ولا زكاةً، لماذا؟ الجواب: لأنّ المنهج الإلهيّ إنّما هو بأثَرِهِ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ١٢﴾ [يس]، لذلك لا يُذكَر الإيمان إلّا وقُرن بالعمل الصّالح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ١٠٧﴾ [الكهف]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ٣٠﴾ [الكهف]، ﴿وَٱلْعَصْرِ ١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ٣﴾ [العصر]، والصّالح ضدّ الفاسد، إذاً أصبحوا مجرمين بجرائمهم، وليس لأنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعلهم كذلك ابتداءً كما يعتقد بعض النّاس، وبدليلٍ آخر وهو أنّ العلماء وقفوا في سورة (الإسراء) عند قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ١٦﴾ [الإسراء]، أيأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالفسق؟ إنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يأمر بالفحشاء، وإنّما يأمر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالخير، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النّحل]، أمرهم بالمنهج ففسقوا، والفسق هو الخروج

---

(١) شعب الإيمان: باب في طاعة أولي الأمر، الحديث رقم (٧٤٤٥).

عن طاعة المنهج، وهناك قراءةٌ أخرى لآية (الإسراء): (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمّرنا مترفيها).

﴿لِيَمْكُرُواْ فِيهَا﴾: المكر: هو التفاف الأغصان على بعضها بحيث أنّك لا تعرف هذه الورقة من أيّ غصنٍ، والمراد تبييت الأمر بخفاء، إخفاء الحقيقة والتّآمر.

﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: فالنّتيجة كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال: من الآية ٣٠]، فهم لا يمكرون إلّا بأنفسهم، ولكنّهم لا يشعرون بأنّ هناك من يطّلع على تبييت هذا المكر، وأنّ الله سبحانه وتعالى سيبطله، فعندما مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الهجرة النّبويّة الشّريفة وأحاطوا داره صلى الله عليه وسلم بأربعين رجلاً من القبائل العربيّة كلّها ليتفرّق دمه صلى الله عليه وسلم بينها، وبعد ذلك خرج النّبيّ صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم عملاً بأمر الله سبحانه وتعالى وقد أخذ بالأسباب؛ لأنّ الأخذ بالأسباب الدّنيويّة هو من الالتزام بمنهج الله سبحانه وتعالى، فبات الإمام عليّ كرّم الله وجهه في فراشه حتّى يعتقد المشركون أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم ما زال نائماً، واتّخذ عبد الله بن فهيرة دليلاً للطّريق، وكانت السّيّدة أسماء بنت أبي بكر الصّديق تحضر الطّعام، واختبأ في الغار، وعندما أحيط به تماماً في الغار يروي لنا سيّدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: حدّثني أبو بكرٍ رضي الله عنه قال: كنت مع النّبيّ صلى الله عليه وسلم في الغار، فرأيت آثار المشركين، قلت: يا رسول الله، لو أنّ أحدهم رفع قدمه رآنا، قال: «**ما ظنّك**

باثنين الله ثالثهما»[1]، وقد سجّلها القرآن الكريم حتّى تبقى على مدى التّاريخ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠﴾ [التّوبة]، هو في معيّة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما فعل نبيّ الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما أُحيط به أيضاً، أصبح أمام البحر فقال أصحاب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ٦٢﴾ [الشّعراء]، أدخل نفسه في معيّة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعد أن أخذ بالأسباب كلّها، وهذا ما جرى مع النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فماذا قال القرآن الكريم؟ قال: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ٣٠﴾ [الأنفال]، أي أبطل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مكرهم، فهو خير من يردّ هذا المكر.

(الآية ١٢٤) - ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ١٢٤﴾:

﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾: الآية هي آيات القرآن الكريم وهي معجزة النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لذلك سمّى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مجموعة الكلمات من القرآن الكريم آيةً، أي معجزةً عجيبةً، ﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ١﴾ [يوسف]، لماذا لم يقل: تلك

(١) صحيح البخاريّ: كتاب التّفسير، باب سورة براءة التّوبة، الحديث رقم (٤٣٨٦).

كلمات؟!، إذاً فيها معجزة.

﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ﴾: قطعوا الأمر بأنّهم لن يؤمنوا، ولا يريدون أن يؤمنوا، كان الوليد بن المغيرة يملك المال والنّسب والأولاد والجاه ويقول: لماذا لم تأت الرّسالة إليّ؟ ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ﴾، الله ﷻ أعلم حيث يجعل الرّسالة لمن تكون، ومن يبلّغ عنه، فلا يحقّ لكم أن تقترحوا على الله ﷻ آياتٍ، فهو ﷻ الّذي ينزّل الآيات أي المعجزات، وهناك فارقٌ بين الرّحمة في عطاءات الرّبوبيّة والرّحمة في عطاءات الألوهيّة، فالرّحمة في عطاءات الرّبوبيّة تكون متساويةً لكلّ النّاس، أمّا الرّحمة في عطاءات الألوهيّة فهي في الرّسالات، والرّسالة تنشر الخير للجميع، ولكنّها تلغي آثار الانتفاع بهذا الخير عن نفسها، فآثار الانتفاع بالخير تكون للغير، لذلك لم يكن النّبيّ ﷺ ليأخذ من الصّدقات، أمّا قول الوليد بن المغيرة: بأنّني أريد أن أكون صاحب الرّسالة، وذلك حتّى يأتيه النّفع منها، فالله ﷻ يجيبه: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾.

﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾: صغارٌ: أي هوانٌ وذلٌّ، هؤلاء المجرمون الّذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ، وهؤلاء الّذين خرجوا عن منهج الله ﷻ، والّذين أرادوا الشّرّ للنّاس والخير لأنفسهم، هؤلاء سيصيبهم صَغارٌ عند الله ﷻ.

﴿وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ﴾: من مكرهم وتبييتهم لهذه الشّرور والآثام.

(الآية ١٢٥) - ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾:

قد يقول قائلٌ: ما ذنب الإنسان الّذي لم يشرح الله سبحانه وتعالى صدره، وجعل صدره ضيّقاً حرجاً؟ الجواب: الله سبحانه وتعالى لا يخرج في ملكه شيءٌ عن إرادته، فأنت لا تعصي بإرادتك فقط، وإنّما بمن جعل لك إرادةً، صحيحٌ أنّه خيّرك بين الهداية والمعصية، وأنت اخترت المعصية، لكن عندما اخترت المعصية هل تكون بخيارك خرجت عن إرادته سبحانه وتعالى؟ الجواب: بالتّأكيد لا، فهو من جعل لك خياراً، ولو شاء لما جعلك قادراً على الاختيار، وهنا مناط التّكليف وهنا مناط الابتلاء، قال سبحانه وتعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [تبارك].

والهداية -كما ذكرنا- نوعان:

أوّلاً- هداية الدّلالة: وهي لكلّ النّاس من دون استثناء، فلا يستطيع أحدٌ أن يقول: لماذا هدى الله فلاناً ولم يهدني؟ فالهداية جاءت لكلّ النّاس، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: من الآية ٩]، ويقول سبحانه وتعالى للنّبيّ صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص].

ثانياً- هداية المعونة: فإن اخترت هداية الدّلالة يعطيك سبحانه وتعالى هداية

المعونة، أي يخفّف عنك متاعب التّكليف، فلا تجد مشقّةً فيها، وليس ذلك بالتّقليل منها، ولكن بجعلك تشتهيها، وهذا معنى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾، هذا الإنسان الّذي أخذ بالاختيار هداية الدّلالة يشرح الله ﷻ صدره للإسلام، فعندما يقوم للصّلاة لا يقوم بكسلٍ، وإذا سمع أمراً من أوامر الله ﷻ فإنّه يُقبل عليها بحبٍّ كما كان النّبيّ ﷺ مثالاً وأسوّةً حسنةً للنّاس، فقد كان ﷺ يقول عن الصّلاة: «**يا بلال، أقم الصّلاة، أرحنا بها**»[1]، فهو يجد الرّاحة في التّكليف، فهذا معنى شرح الصّدر، بأن يجعلك تشتهي الطّاعة وعمل الخير والنّفقة والصّدقة والصّلاة والصّيام.

﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾: اكتشف العلماء أنّ الإنسان عندما يصعد إلى السّماء يضيق صدره، والسّبب في ذلك أنّه يعاكس الجاذبيّة ما يجعله بحاجةٍ إلى جهدٍ أكبر فتشعر بالضّيق، والصّدر هو المكان الّذي يحتوي القلب والرّئة الّتي يدخل إليها الأكسجين ويخرج منها ثاني أكسيد الكربون، والمولى ﷻ أنزله على رسوله ﷺ ومثّل ذلك بقوله: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾، الحرج هو الحجز عن الفعل، تشعر كأنّما هناك من يحجزك عن الفعل وأنت تصعد.

﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾: والرّجس: هو العذاب.

(١) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، الحديث رقم (٤٩٨٥).

(الآية ١٢٦) – ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦﴾:

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ﴾: الصّراط: هو الطّريق السّويّ، لكن الطّريق السّويّ يجب أن يكون مستقيماً ليس فقط سويّاً، لماذا المستقيم؟ الجواب: لأنّ المستقيم هو أقصر مسافة بين نقطتين، فأقصر مسافة يمكن أن يأخذها الإنسان للوصول إلى الجنّة تكون في الاستقامة.

﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ﴾: يذّكرون: يعتبرون.

كلّ هذه الآيات فصّلها الله سبحانه وتعالى وبيّنها ووضّحها لقومٍ يعتبرون.

(الآية ١٢٧) – ﴿۞لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٧﴾:

﴿۞لَهُمۡ دَارُ﴾: الدّار: هي ما يستقرّ به الإنسان، وهي أكبر من موضوع بيت، فالبيت للبيتوتة، أمّا الدّار ففيها مقوّمات الحياة إضافةً للبيتوتة، لكنّه نسب الدّار لاسمه السّلام، والسّلام هو الأمان والاطمئنان، لذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ٤٤﴾ [الأحزاب]، وقد جعل الله سبحانه وتعالى السّلام تحيّة أمّتنا، وجعل السّلام من صلاتنا، فكلمة السّلام هنا: ﴿۞لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾، أي الدّار الّتي هي مستقرّ الإنسان وفيها كلّ ما يشتهيه من عطاءات الرّبوبيّة.

﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾: الله سبحانه وتعالى لا يضيع عمل عاملٍ من ذكرٍ أو أنثى، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ٤٠

﴿ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ٤١﴾ [النّجم]، فالإنسان يثاب على قدر العمل، ويتعلّق الإنسان بعمله إلّا ما خصّصه النّبيّ ﷺ بقوله: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلّا من ثلاث: صدقةٌ جاريةٌ، وعلمٌ يُنتفع به، وولدٌ صالحٌ يدعو له**»(١)، لماذا؟ الجواب: لأنّه من آثار عمله، يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾ [يس: من الآية ١٢]، إذاً دخلت الصّدقة الجارية ضمن دائرة العمل، أي أنّها مستمرّةٌ بعد وفاته، وكذلك العلم مستمرٌّ، ودين الإسلام هو دين العلم، والولد الصّالح أيضاً هو استمرارٌ للإنسان فهو يدعو لوالده ووالدته فيكون من جنس عملهما، ومع ذلك فإنّ الإنسان لا يدخل الجنّة بعمله، وقد بيّن النّبيّ ﷺ ذلك فقال: «**لا يدخل أحدكم الجنّة بعمله**»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلّا أن يتغمّدني الله منه برحمةٍ وفضلٍ**»(٢)، أي أنّ الله سبحانه وتعالى برحمته جعل جزاء العمل الجنّة، ولو لم يُرد أن تكون لك جنّةٌ من عملك لما حصلت عليها.

(الآية ١٢٨) - ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ١٢٨﴾:

﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا﴾: كلمة يوم: ظرف زمانٍ، يأتي بعدها الحدث

---

(١) سنن التّرمذيّ: كتاب الأحكام، باب في الوقف، الحديث رقم (١٣٧٦).

(٢) مسند أحمد بن حنبل: مسند أبي هريرة رضي الله عنه، الحديث رقم (٧٤٧٣).

الّذي سيحدث في ذلك اليوم، ولكنّنا نجد أنّ الحدث عبّر عنه المولى تعالى بالنّداء: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ﴾.

﴿يَحۡشُرُهُمۡ﴾: الحشر: هو الجمع، ففي هذا اليوم الحدث هو ذلك النّداء: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ﴾، المعشر: هم جماعةٌ مختلطةٌ تتعايش بعضها مع بعضٍ، فيُقال: معشر العلماء، معشر الأطبّاء.. جماعةٌ تختلط بتعايشٍ مع بعضها، هنا المولى سبحانه وتعالى في يوم الحشر أتى بالنّداء قائلاً: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ﴾، قد حاولتم أن تستكثروا وأن تضمّوا إليكم بالغواية والوساوس والاستمالة كثيراً من الإنس.

﴿وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ﴾: المولى سبحانه وتعالى أسمعنا جواب أوليائهم من الإنس.

والأولياء هنا: الإنس الّذين تولّوا شياطين الجنّ وساروا على نهجهم وغواياتهم، سمعنا إجابتهم، لكنّ الإجابة كانت من الجنّ في آياتٍ وسورٍ أخرى حيث قال الشّيطان لمّا قضي الأمر: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢﴾ [إبراهيم]، إلى ما هنالك من آياتٍ أورد الله سبحانه وتعالى فيها جواب الشّيطان في ذلك الوقت. هنا تأتي إجابة الإنس من الّذين تولّوا الشّياطين: ﴿رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَا﴾، كانت هناك فترةٌ استمتع بعضنا ببعض من جرّاء الغرور الّذي غرّتنا به الحياة الدّنيا، ومن جرّاء

ما وعدنا الشّيطان الرّجيم، وبيّن الله ﷻ أنّ وعد الشّيطان هو وعد الغرور، قال ﷻ: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ٦٤﴾ [الإسراء]، وبيّن ﷻ أنّ الشّيطان هو عدوٌّ للإنسان، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر]، ومع ذلك فإنّهم تولّوه وتكاثروا حول حباله ونزغاته وحول الشّرّ في الدّنيا، فالحياة فيها الخير والشّرّ، الحقّ والباطل الّذي يمثّله الشّيطان، وهو العاصي من الجنّ، ومن تولّاه من الإنس.

﴿وَبَلَغۡنَآ﴾: وصلنا إلى الأجل الّذي قدّرت لنا يا ربّ.

﴿أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ﴾: الله ﷻ جعل لكلّ كتابٍ أجلاً، قال ﷻ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٣٤﴾ [الأعراف].

﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ﴾: أي النّار هي المستقرّ، وهي المآل.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ﴾: هناك خلودٌ في الجنّة وخلودٌ في النّار، لكن هناك استثناءٌ من الخلود في النّار واردٌ في هذه الآية، نقول: بأنّ الله ﷻ حدّد مشيئته، فيكون معنى الآية بأنّ الله ﷻ سيجعل النّار مثواهم، فإنّ الله ﷻ يغفر لمن يشاء، قال ﷻ: ﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر]، فالله ﷻ يغفر الذّنوب جميعاً، وهنا حدّد مشيئته ﷻ بأنّه لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾: يذيّل الله ﷻ الآيات بصفتين أو بصفةٍ من صفاته الّتي تعبّر عن الذّات الإلهيّة الّتي لا يمكن للبشر أن يصلوا إلى حدود كمالاتها، فلا يمكن أن يكون هناك نظيرٌ ولا شريكٌ لله ﷻ في صفاته ولا في أعماله ولا في ذاته، فإنّه حكيمٌ يضع الأمور في نصابها، وإنّه عليمٌ بذنوب خلقه وبشرك خلقه وبمن يستحقّ أن يبقى خالداً في النّار ومن يستحقّ أن يخرجه منها.

(الآية ١٢٩) - ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ١٢٩﴾:

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: أي إلى ما سبق.

﴿نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾: أي كما حدث مع من اتّبع الشّياطين وسار على نهجهم ووسوسوا له بالشّرور والآثام، كذلك نجعل الولاية للظّالمين بعضهم على بعضٍ فولاية الظّالم على الظّالم لا يكون منها إلّا السّواد والظّلم.

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾: الله ﷻ لم يظلمهم، ولكن ذلك بسبب أعمالهم وبما كسبوا وبما خرجوا عن نهج الله ﷻ.

(الآية ١٣٠) - ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ١٣٠﴾:

﴿يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾: قصّ الآيات: أي مسيرة الرّسل والآيات الدّالّات على وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من لدن آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى محمّد ﷺ.

فقد كانت تأتي الرّسل للبيان عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلم يعد هناك حجّةٌ بعدم الإيمان، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١﴾ [الجنّ]، فالجنّ كانوا يسترقون السّمع.

﴿وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾: هناك إنذارٌ فتجريمٌ كما ذكرنا، وهناك بيانٌ ورسلٌ، وقد يسأل أحدهم: هل هناك رسلٌ أُرسِلوا للجنّ؟ الجواب: اختلف العلماء في ذلك، لكن من الواضح أنّه عندما كانت تأتي الرّسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ إلى الإنس فإنّ الجنّ كانوا يعلمون بهم ويعلمون الحقّ، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ﴾ [إبراهيم: من الآية ٢٢]، فالشّيطان يعلم أنّ وعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الحقّ. ونتذكّر عندما قال الشّيطان -لعنه الله- لله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣﴾ [ص]، أي أنّني أستند على استغنائك عن عبادة خلقك يا ربّ، هذا معنى: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾، ثمّ قال: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٨١﴾ [ص]، إلى يوم الحساب الّذي ينادي به المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾، مُخاطباً الإنس والجنّ معاً.

﴿قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾: لم يقولوا: بلى، بل قالوا أكثر من ذلك:

شهدنا على أنفسنا، كما قال ﷻ: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤﴾ [النّور]، تشهد عليهم أبعاضهم.

﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾: الحياة الدّنيا هي متاع الغرور، أي يغترّ الإنسان بالمال والبنين وكثرة الزّينة، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلًا ٧﴾ [الكهف]، إذاً غرّتهم الحياة الدّنيا واعتقدوا أنّ أموالهم ستبقى لهم، وأنّها غاية المنتهى، ولكن سرعان ما انقضت الأيام وأدركوا أنّ هذه الدّنيا متاعٌ زائلٌ، قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «**كن في الدّنيا كأنّك غريبٌ أو عابر سبيلٍ**»(١)، وقال ﷺ: «**ما لي وما للدّنيا، ما أنا في الدّنيا إلّا كراكبٍ استظلّ تحت شجرةٍ ثمّ راح وتركها**»(٢)، هذه هي الحياة الدّنيا، وقد قيل:

هَبْ أنّك قد ملكت الأرضَ طُرّاً ... ودانَ لك البلاد فكان ماذا؟!

أليس غداً مصيرك جوف قبرٍ ... ويحثو التّرب هذا ثمّ هذا؟!

غرّتهم الحياة الدّنيا وهم من عالم الأغيار، فالإنسان يكون صغيراً فيكبر ويكون صحيحاً فيمرض ويكون غنياً فيفتقر ويكون حيّاً فيموت.

﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾: اعترفوا بأنّهم كفروا بالله ﷻ وجحدوا نعمته وتكبّروا واستكبروا وعتوا عتوّاً كبيراً.

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الرّقاق، باب قول النّبيّ ﷺ: «كن في الدّنيا كأنّك غريبٌ أو عابر سبيلٍ»، الحديث رقم (٦٠٥٣).

(٢) سنن التّرمذيّ: كتاب الزّهد، باب ٤٤، الحديث رقم (٢٣٧٧).

(الآية ١٣١) - ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ١٣١﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي بما تمّ، فالله سبحانه وتعالى أنذر ووعد وأرسل الرّسل.

﴿أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ﴾: أي نبّهناهم وأرسلنا إليهم رسالاتٍ، ولا يمكن لله سبحانه وتعالى أن يُهلك القرى وأهلها غافلون؛ لذلك نقول: هناك فارقٌ ما بين الصّالح والمصلح، الصّالح هو الإنسان الّذي يعمل على صلاح نفسه، أمّا المصلح فهو مَن يعمل على إصلاح غيره وإنقاذهم مِن الغفلة، والنّبيّ صلى الله عليه وسلم قبل نزول الرّسالة شهدت له مكّة وقريش بأنّه كان صالحاً أميناً صادقاً، وعندما نزلت الرّسالة وأراد أن يصلح النّاس أصبح ساحراً ومجنوناً وكذّاباً؛ لأنّ النّاس لا تريد مَن يخرجهم من غرورهم ونزواتهم وشهواتهم، فحرب الشّهوات هي حربٌ عاتيةٌ، لذلك فرّق المولى سبحانه وتعالى فقال: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ١١٧﴾ [هود]، لم يقل: (صالحون)؛ لأنّه لا بدّ من دعوة الخير للغير، هنا الآية جاءت: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ١٣١﴾، غافلون: أي أنّهم لم يأتهم رسل، والمولى سبحانه وتعالى لا يجرّم إلّا بنصٍّ، وبعد أن يُرسل الرّسل، ويبلّغهم بأن يكونوا مصلحين، فعندما جاء آدم عليه السلام جاء بالمنهج من الله سبحانه وتعالى؛ لأنّه نزل من الجنّة إلى الأرض، ولكن بعدها بدأ الإفساد في الأرض بعد الصّلاح، إذاً الإفساد طارئٌ، وهو من صنع النّاس، قال سبحانه وتعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾ [الرّوم: من الآية ٤١].

(الآية ١٣٢) - ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٣٢﴾:

﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ﴾: درجاتٌ في العمل، فالإنسان يسير في هذه الدّرجات، أو يهبط في الدّركات من خلال عمله، وليس من خلال قوله، يقول النّبيّ ﷺ: «**إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»(١)، وبيّن الله سبحانه وتعالى لنا في كثيرٍ من الآيات بأنّ الإيمان إذا لم يقترن بالعمل الصّالح فلا جزاء له، فقال جلّ جلاله: ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ٤٠ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ٤١﴾ [النّجم]، ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر]، وقال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠﴾ [يونس]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠﴾ [الكهف]، فالقضيّة هي قضيّة أعمالٍ وسلوكيّاتٍ، فلم يأت الإسلام بخطبٍ رنّانةٍ، ولم ينتشر بالمواعظ وإلقاء الكلمات من على المنابر فقط، وإنّما انتشر بالسّلوكيّات والأخلاق، بالصّدق والأمانة والإيثار والخير الّذي يعمّ النّاس من جرّاء تعاليم هذا الدّين ورفع الحيف عن النّاس،

(١) صحيح مسلم: كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، الحديث رقم (٢٥٦٤).

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النّحل]، والله سبحانه وتعالى يبيّن أنّ الدّعوة إليه طريقها الأسوة السّلوكيّة برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال المولى سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب].

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾: الله سبحانه وتعالى يعلم السّرّ وأخفى، ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزّلزلة].

(الآية ١٣٣) - ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ ١٣٣﴾:

﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِ﴾: بعد أن بيّن الله سبحانه وتعالى بأنّه سيحشر النّاس جميعاً وسيحاسبهم وستنشر الصّحائف، فإنّه يطمئن النّاس بأنّه غنيٌّ عن عبادتهم، وأنّه رحيمٌ بهم.

﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾: فأنتم لا تستطيعون أن تعجزوا الله سبحانه وتعالى هرباً، ولن تستطيعوا أن تخرجوا من سلطانه جلّ وعلا: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣﴾ [النّحل]، فمن أراد أن يعصيه جلّ وعلا فليختر كوناً آخر لا يخضع لسلطانه، فكلّ ما يخضع لسلطانه تحت مشيئته عزّ وجلّ، فإن يشأ المولى يذهبكم، والله سبحانه وتعالى هو الّذي أسدل للنّاس حبال الاختيار؛

لأنّه يريد قلوباً ولا يريد قوالباً، ولو أراد قوالباً لما عجز ﷻ عن ذلك، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ۝١١﴾ [فصّلت]، فلو أراد الله ﷻ لجعل النّاس كلّهم مؤمنين: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٩٩﴾ [يونس]، وهذا دليلٌ على أنّ الإسلام لم ينتشر بالقوّة ولا بالخُطَب الرّنّانة، وإنّما انتشر بالأخلاق العالية، قال ﷺ: «**إنّما بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**»[1]، ولذلك نجد بأنّ الإسلام ربط الشّعائر بالمقاصد، أي أنّه جعل شعائر الإسلام وسيلةً لتحصيل القيم، يقول ﷺ: «**من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلّا بعداً**»[2]، فبصلاتك تتّصل بربّك، وتصل خلق ربّك، فلا يمكن أن تُسيء للآخرين وأنت تصلّي، إذاً هي دعوة الخير للغير، وكذلك الصّيام، فليس الصّيام بالامتناع عن الطّعام والشّراب، وإنّما بالامتناع عن اللّغو والرّفث، والشّعور بالآخرين وبحاجاتهم، وكذلك الزّكاة والحجّ، وكلّ أركان الإسلام، قال ﷻ: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٥﴾ [إبراهيم].

---

(١) سنن البيهقيّ الكبرى: كتاب الشّهادات، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها الّتي مَن كان مُتخلّقاً بها كان من أهل المروءة، الحديث رقم (٢٠٥٧١).

(٢) مجمع الزّوائد: كتاب الصّلاة، باب فيمن لم تنهه صلاته عن الفحشاء، الحديث رقم (٣٥٥٧).

(الآية ١٣٤) - ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ١٣٤﴾:

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍۖ﴾: عندما يأتي الوعد من القادر، ومن الّذي لا يعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السّماء، فإنّ الوعد يتحقّق، فكلّ ما وعد به الله سُبحانه وتعالى من جنّةٍ أو من نارٍ، ومن حسابٍ ومن نشرٍ ووقوفٍ بين يديه آتٍ.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾: لن تعجزوا الله سُبحانه وتعالى هرباً، فإن استطعتم أن تخرجوا من أقطار مُلكه فاخرجوا.

(الآية ١٣٥) - ﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١٣٥﴾:

﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾: المكانة: من المكان، والمكان هو حيّز، ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾: أي على قدر استطاعتكم.

﴿إِنِّي عَامِلٞ﴾: فالقضيّة هي قضيّة أعمالٍ، والأعمال هي الّتي تؤدّي إلى الخير العامّ، قال صلى الله عليه وسلم: «**الخلق عيال الله، وأحبّ عباد الله إلى الله أنفعهم لعياله**»(١)، فالنّفعيّة والخيريّة للغير، وهما أصل كلّ ديانةٍ، وأصل الإسلام هو قوله سُبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ﴾: الدّار هي أكبر وأوسع مقوّمات الحياة، يقول سُبحانه وتعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤﴾ [العنكبوت]، لم يقل: لهي الحياة، فما الفارق بين

---

(١) شعب الإيمان: باب في طاعة أولي الأمر، الحديث رقم (٧٤٤٥).

الحياة والحيوان؟ الجواب: الحيوان هو مصدر الحياة، والحياة هي الحياة الدّنيا، ولن تكون هي مصدراً للحيّ طالما أنّه يموت، يقول ﷻ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزمر]، أمّا الدّار الآخرة فهي الحيوان وهي الباقية، وعاقبة الدّار هي الدّار الآخرة الّتي فيها جنّاتٌ وأنهارٌ ونعيمٌ مقيمٌ.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: يمثّل المولى ﷻ بالفلّاح عندما يحرث ويبذر فتكون الثّمرة من الفلاحة، ولا يمكن للظّالم أن يُفلح، فالظّالم هو الّذي يتجاوز الحدّ، وهو المعتدي الّذي يأخذ حقّ الغير، يقول الله ﷻ في الحديث القدسيّ: «**يا عبادي إنّي حرمت الظّلم على نفسي وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا**»(١)، فأشدّ أنواع العقوبة تقع على الظّالمين؛ لأنّهم استباحوا حقوق الآخرين وظلموهم، لذلك نجد في تذييل بعض الآيات قوله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فأوّل ما جاء به الإسلام هو إشاعة العدل بين النّاس والمساواة بينهم، فعن أبي نضرة حدثني من سمع خطبة رسول الله ﷺ في وسط أيّام التّشريق فقال: «**يا أيّها النّاس، ألا إنّ ربّكم واحدٌ، وإنّ أباكم واحدٌ، ألا لا فضل لعربيٍّ على أعجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا لأحمرٍ على أسودٍ، ولا أسودٍ على أحمرٍ إلّا بالتّقوى، أبلَّغت؟**»، قالوا: بلّغ رسول الله ﷺ(٢)، فالنّاس سواسيةٌ كأسنان المشط وفرض الله ﷻ الصّلاة لتكون مقدّمةً لهذه المساواة،

---

(١) صحيح مسلم: كتاب البرّ والصّلة والآدب، باب تحريم الظّلم، الحديث رقم (٢٥٧٧).

(٢) مسند الإمام أحمد: باقي مسند الأنصار، الحديث رقم (٢٣٥٣٦).

حيث يقف القويّ والضّعيف، الغنيّ والفقير، الأمير والمأمور، في صفٍّ واحدٍ وفي مساواةٍ، يخلعون مناصبهم مع نعالهم خارج المسجد حتّى لا يكون لأحدهم قدرٌ إلّا قدر القرب من الله ﷻ، فيكون العدل عامّاً بين النّاس جميعاً.

(الآية ١٣٦) - ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾:

ذرأ: أي خلق وبثّ ونشر، فمن الخروج عن منهج الله ﷻ أنّهم جعلوا له ﷻ نصيباً ممّا ذرأ من الحرث والأنعام وهو مَن خلقهم. والحرث: هو الزّرع، قال ﷻ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الواقعة]، جعلوا لله ﷻ شركاء في خلقه فيما خلق وبثّ ونشر من الحرث والأنعام؛ الإبل والبقر والضّأن والماعز.

﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾: فقد كانوا يأخذون نصيباً من الأنعام ونصيباً من الزّروع ويعطونها للسّدنة ولمن يقومون بخدمة الأصنام.

﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾: هم يحتالون في الحكم، أي ما كان لشركائهم فليس لله تبارك وتعالى علاقةٌ فيه، أمّا ما كان لله ﷻ فمن الممكن أن يأخذوا منه،

مثلاً إذا نقص الزّرع فإنّهم يقولون: الله -جلّ جلاله- غنيٌّ ولا يحتاج إلى هذه الأنعام ولا إلى الحرث، أي أنّهم خلطوا شرك الأصنام مع عمليّة توزيع الأنصبة فيما يتعلّق بالأنعام وفيما يتعلّق بالزّروع وهو احتيالٌ على المولى تبارك وتعالى.

﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾: وكلّ السّوء في هذا الحكم الّذي صدر وفق طبيعة الأهواء البشريّة، وهذا هو الفارق بين الحكم من الله سبحانه وتعالى والحكم من البشر، فالحكم من الله سبحانه وتعالى هو لصالح كلّ البشر، بينما الحكم من هؤلاء النّاس يكون وفق أهوائهم ومصالحهم وأغراضهم وشهواتهم، فساء ما يحكمون.

(الآية ١٣٧) - ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ١٣٧﴾:

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: أي بذلك زيّن لكثيرٍ من المشركين قتل أولادهم. فقد كان من عادات العرب في الجاهليّة قتل أولادهم عند الولادة إذا كانوا لا يمتلكون المال الكافي للإنفاق عليهم، بالإضافة إلى عادة وأد البنات، فبيّن الله سبحانه وتعالى لنا في آيتين منفصلتين ما يتعلّق بموضوع قتل الأولاد، فقال جلّ جلاله: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ﴾ [الأنعام: من الآية ١٥١]، والإملاق: الفقر، وفي آيةٍ أخرى يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ [الإسراء: من الآية ٣١]، والفرق بين الآيتين أنّه عندما قال الله سبحانه وتعالى

في الأولى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾: أي من فقرٍ واقعٍ عليكم الآن؛ لأنّه قال بعدها: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾، فأنت في حالة فقرٍ، والله ﷻ تكفّل برزقهم بعد ولادتهم، أمّا عندما قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾: أي خوفاً من الفقر إذا جاءكم أولادٌ، فقال ﷻ: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾، أي يأتي الولد ورزقه معه، فهذا القرآن هو كلام الله ﷻ، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النّساء].

﴿زَيَّنَ﴾: التّزيين ليس من أصل الشّيء، وهو محاولة تحسينٍ.

﴿قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾: شركاؤهم هؤلاء من الإنس والجنّ، أصبحوا يزيّنون لهم قتل أولادهم خوفاً من الفقر.

﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾: أي يردونهم إلى الموت، الرّدى: الموت.

﴿وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾: يلبسون: يخلطون مواضيع الدّين.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾: لأنّك لا تستطيع أن تخرج بأيّ فعلٍ عن إرادة الله ﷻ؛ لأنّه هو الّذي أعطى لك الخيار بأن تفعل أو لا تفعل، فلو شاء ﷻ ما ترك لك الخيار، فعندما يعيد المولى تبارك وتعالى المشيئة إليه في كلّ أمرٍ ليس معنى هذا بأنّه يحلّل لهذا الإنسان أن يتبرّأ من مسؤوليّته بحجّة أنّ الله ﷻ لو شاء ما فعلوا ذلك، لا، فأنت تُحاسب على اختيارك ولن تحاسب على مشيئة الله ﷻ.

﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾: الافتراء: هو الكذب المتعمّد.

(الآية ١٣٨) – ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ١٣٨﴾:

﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ﴾: الأنعام: هي الإبل والبقر والضّأن والماعز.

وحرث: تعني زرع.

﴿حِجۡرٞ﴾: أي محجوزة.

﴿لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ﴾: لا أحد يأكل منها إلّا من نشاء بزعمهم.

﴿وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِ﴾: الافتراء: هو الاختلاق والكذب المتعمّد، وهنا يقول المولى ﷻ عنهم بأنّهم حجزوا هذه الأنعام وهذه الزّروع، وقالوا: لا يطعمها إلّا من نشاء، وأنعامٌ حرّموا ظهورها، أي حرّموا الرّكوب عليها، وأنعامٌ لا يذكرون اسم الله ﷻ عليها افتراءً، كلّ هذه الأمور هي من كذبهم المتعمّد، وإلباسهم للأمر الدّينيّ.

﴿سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾: أي أنّهم لن يخرجوا من عذاب الله جلّ وعلا وإن أمهل عليهم هذا العذاب.

(الآية ١٣٩) – ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ١٣٩﴾:

﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ

﴿أَزۡوَٰجِنَا﴾: قالوا: ما في بطون هذه الأنعام من لبنٍ وأجنّةٍ حيّةٍ خالصةٌ للذّكور، ومحرّمةٌ على الإناث.

﴿وَإِن يَكُن مَّيۡتَةً فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾: إذا كانت ميتةً فهم فيها شركاء تأكل منها النّساء.

﴿سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡ﴾: سيلاقون نتيجة وجزاء هذا الوصف وهذا الافتراء على الله ﷻ، وهذا الكذب بالتّحليل والتّحريم.

﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾: يضع الأمور بنصابها ويعلم ما هي الدّوافع الّتي أدّت بهم إلى تحريم هذه وتحليل تلك، وإعطاء هذا للشّركاء وإعطاء هذا للأصنام وإعطاء هذا للسّدنة... كلّها من دواعي الشّهوات الّتي في نفوسهم.

(الآية ١٤٠) – ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٤٠﴾:

﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾: هؤلاء الّذين قتلوا أولادهم سفهاً أي طيشاً وحمقاً وجهلاً، خسروا خسراناً مبيناً.

﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ﴾: إذاً حرّموا ما رزقهم الله ﷻ من أولادٍ، وما رزقهم الله ﷻ من أنعامٍ وحرثٍ كلّ ذلك افتراءً، أي كذباً متعمّداً على الله ﷻ.

﴿قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾: قد يعتقد الإنسان أنّ قوله ﷻ: ﴿قَدۡ ضَلُّواْ﴾ تكفي، ولو أنّ القائل هو إنسانٌ لقلنا: إنّ قوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ زيادةٌ؛ لأنّ الضّلال هو عدم الهدى، لكن المولى ﷻ أكّد بأنّ الهداية هي بيّنةٌ؛ لأنّ الله ﷻ أرسل الرّسل، وهم رفضوا الهداية واختاروا السّيّء لذلك ضلّوا.

(الآية ١٤١) – ﴿۞وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١﴾:

﴿أَنشَأَ﴾: الإنشاء: هو الإيجاد من عدمٍ بإبداعٍ على غير مثالٍ سابقٍ.

﴿جَنَّٰتٖ﴾: جنّ بمعنى استتر، يُقال: جنّاتٌ؛ لأنّها مغطّاةٌ مستورةٌ من كثرة الأشجار.

﴿مَّعۡرُوشَٰتٖ﴾: العرش: أي فيها شيءٌ من العلوّ، لها مثل السّيقان الّتي تكون عريشة.

﴿وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ﴾: الّتي لا ساق لها، كالبطّيخ مثلاً.

﴿وَٱلزَّرۡعَ﴾: المقصود به الحبوب.

﴿مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾: فهو يسقى بماءٍ واحدٍ، وفي أرضٍ واحدةٍ، وتربةٍ واحدةٍ، ويختلف أكله، فمثلاً اللّيمون والبرتقال بأنواعه مختلفٌ أكله مع أنّ الأرض واحدةٌ، والماء واحدٌ، والهواء واحدٌ.. فسبحان الله.

﴿مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ﴾: فنجد من الرّمان حامضاً وحلواً، ومن الزّيتون أسودَ وأخضرَ.

﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ﴾: وقد مرّ بنا قوله تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٩٩﴾، فهذه الآية جاءت بدليلٍ على الإيمان بالله جلّ وعلا؛ لأنّه قال في نهايتها: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٩٩﴾، فدلّل تبارك وتعالى بهذه الآيات على قدرته حتّى يؤمن النّاس به جَلَّ جَلَالُهُ، أمّا بالنّسبة لهذه الآية فهي متعلّقةٌ بالانتفاع وليس بالإيمان، بدليل أنّه قال: ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ﴾، أي آتوا حقّه من الصّدقة والزّكاة، أي من حقّ المال.

إذاً هناك أسرارٌ في القرآن الكريم وليس تكرارٌ.

﴿يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ﴾: كلمة الحصد تعني القطع، أي عند قطع الثّمار.

﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾: الإسراف: هو مجاوزة الحدّ، قال العلماء: لا خير في السّرَف ولا سرف في الخير، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يحبّ المسرفين؛ لأنهم يُضيّعون نعمةً من نِعَم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لذلك نقول للنّاس: انتبهوا على نعمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كالماء مثلاً فلا تسرفوا في استخدامه ولا تهدروه، وكذلك الكهرباء والوقود، وغيرها كثيرٌ من النّعم الّتي أنعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها علينا.

(الآية ١٤٢) – ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ١٤٢﴾:

﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾: الأنعام: الإبل والبقر والضّأن والماعز.

﴿حَمُولَةٗ﴾: أي الكبير الّذي يُحمل عليه، وتنقل بضائعكم من مكانٍ إلى مكانٍ.

﴿وَفَرۡشٗاۚ﴾: وهو الصّغير الّذي لا يُحمل عليه، تتّخذون فرشاً من أوبارها ومن أصوافها ،يصنعون منه السّجاد وغيره.

﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾: لأنّ الأصل فيه أكل اللّحم وشرب اللّبن وما يتعلّق بذلك.

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾: بيّن سُبحانه وتعالى بأن الشّيطان عدوٌّ لنا، فقال جلّ جلاله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر]، الشّيطان قال منذ اللّحظة الأولى كما أخبرنا الله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣﴾ [ص]، فهو أقسم بعزة الله سُبحانه وتعالى، باستغناء الله جلّ جلاله عن عبادة خلقه، بأن مهمّته مع بني آدم العداوة، وطالما أنّه العدوّ فلا تتّبعوا خطواته؛ لأنّ الخطوة تجرّ الخطوة، وهذه الخطوات تؤدّي إلى الهلاك وإلى نار جهنّم.

(الآية ١٤٣) – ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٤٣﴾:

﴿مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾: ذكر الضّأن اسمه كبش، والأنثى اسمها نعجة.

﴿وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ﴾: ذكر الماعز اسمه تَيس، والأنثى اسمها عنزة.

أمّا البقرة فتطلق على الذّكر وعلى الأنثى، زوجان من كلٍّ منهما ذكرٌ وأنثى، وعندما يتحدّثون عن التّحريم يتساءلون: ماذا حرّم؟ حرّم الذّكرين أم حرّم الأنثيين؟

﴿أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ﴾: أم حرّم ما يوجد داخل أرحام الأنثيين؟

﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾: أعطونا عن علمٍ دليل التّحريم الّذي تقولونه وتدجّلون به على النّاس.

(الآية ١٤٤) - ﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤﴾:

يبيّن المولى ﷻ ذلك بالتّفصيل، هل حرّم الأنثيين أو حرّم الذّكرين من كل الأنعام؟ ثمانية أزواجٍ؛ من الضّأن اثنين، ومن المعز اثنين، ومن الإبل اثنين، ومن البقر اثنين.

﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ﴾: وصية الله ﷻ هي أمره الدّائم.

﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ﴾: هي

كلّها عمليّة ضلالٍ وإضلالٍ، فلا أحد أظلم ممّن يفتري على الله ﷻ الكذب ويحرّم ما حلّله ﷻ ويحلّل ما حرّمه ﷻ، إن كان فيما يتعلّق بالأنعام، أو بالإنسان، أو بالزّرع، أو ما يتعلّق بالمعاملات، أو العبادات، وكلّ ذلك يبيّنه المولى ﷻ بشكلٍ كاملٍ.

﴿لِيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ﴾: السّبب ليضلّ النّاس وهو لا يعلم ما هو الحلال وما هو الحرام، فهم يحرّمون بغير علمٍ، ولم يأتوا ببيّنةٍ ولا دليلٍ، أم كنتم شهداء عندما حرّم الله ﷻ هذه وأحلّ هذه؟!.

(الآية ١٤٥) – ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٤٥﴾:

﴿قُل﴾: فالجواب على كلّ هذا الكلام من رسولنا ﷺ لهؤلاء اليهود والمشركين في مكّة الّذين يعبدون الأصنام والأوثان ويتّخذونها من أجل مصالحهم ويأخذون اللّحوم والأضاحي افتراءً، ويدّعون بأنّ الله ﷻ حرّم هذا وحلّل هذا، ويقسّمون هذا لشركائهم وهذا لغيرهم، وكلّه كذبٌ وافتراءٌ، فيقول المولى ﷻ: قل يا محمّد: ﴿لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾، فيما أوحي إليّ من القرآن الكريم.

﴿مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ﴾: على آكلٍ يأكله.

﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ﴾: أي الطّعام.

﴿مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ

﴿بِهِۦ﴾: ومرّ بنا في سورة (المائدة) قوله سبحانه وتعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ﴾ [المائدة: من الآية ٣]، في القرآن الكريم يوجد المجمل والمفصَّل، وهنا في سورة (الأنعام) أجمَلَ القرآن الكريم؛ لأنّه جمع ضمن دائرةٍ واحدةٍ الميتة والمنخنقة والموقوذة والنّطيحة وما أكل السّبع، فكلّها تدخل ضمن إطار كلمة الميتة.

﴿أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا﴾: عندما يتمّ ذبح الحيوان فهذا الدّم المسفوح الّذي يسيل منه يكون فيه الفاسد مخلوطاً مع الصّالح، والفاسد من الدّم محرّمٌ؛ لأنّ فيه ضرراً بالإنسان، أمّا اللّحم إذا خالطه دمٌ فلا بأس به. والميتة تختلف عن المذبوحة؛ لأنّ الدّم الصّالح والفاسد يكونان موجودين داخلها.

﴿أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾: (أو) حرف عطف، لكنّ فسقاً ليست معطوفة على (رجسٌ)، وإلّا للزِم أن تُقرأ: (فسقٌ)، هنا لحم الخنزير هو الرّجس فقط، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ﴾، جملةٌ اعتراضيّةٌ، ﴿أَوۡ فِسۡقًا﴾: تعود على الميتة والدّم المسفوح.

﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾: الله سبحانه وتعالى لا يكلّف الإنسان إلّا قدر استطاعته، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [البقرة: من الآية ٢٨٦]، فإذا اضطرّ الإنسان، وكان عدم أكله سيؤدّي به إلى الموت فإنّه من الممكن أن يأكل على قدر الضّرورة، أي ما يُبقيه على قيد الحياة.

﴿غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ﴾: البغي هو الاعتداء على حرمات الله سبحانه وتعالى، أو

الاعتداء على ما أحلّه سبحانه وتعالى وما حرّمه جلّ جلاله.

﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: في هذه الحالة فإنّ الله سبحانه وتعالى غفورٌ رحيمٌ؛ لوجود اضطرارٍ، والضّرورات تبيح المحظورات.

(الآية ١٤٦) – ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ١٤٦﴾:

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ﴾: هنا تحريم تأديبٍ، وليس تحريم ضررٍ، فالله سبحانه وتعالى يريد أن يؤدّبهم، فحرّم على اليهود ما هو حلالٌ لغيرهم، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ١٦٠﴾ [النّساء]؛ لأنّهم ظلموا حُرِّمت عليهم هذه الطّيبات.

﴿كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ﴾: كلّ شيءٍ ليس بمشقوق الأصابع، فالبعير لا ينفرج خفّه، وكذلك خفّ النّعامة، وقائمة الوز، فاليهود لا تأكل الإبل ولا النّعام ولا الوز، ولا كلّ شيءٍ لم تنفرج قائمته.

﴿وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ﴾: إلّا ما علق على الظّهر من الشّحوم.

﴿أَوِ ٱلۡحَوَايَآ﴾: يعني الأمعاء.

﴿أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ﴾: إلّا ما اختلط من الشّحوم بالعظام فقد أحللناه لهم، كشحم الألية اختلط بالعصعص، فهو حلالٌ، وكلّ شيءٍ في القوائم

والجنب والرّأس والعين وما اختلط بعظمٍ، فهو حلالٌ.

﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾: ذلك جزيناهم ببغيهم واعتدائهم، فهذا التّضييق إنّما فعلناه بهم وألزمناهم به مجازاةً لهم على بغيهم ومخالفتهم أوامرنا، فهو تحريم تأديبٍ، فالإبل والنّعام والبطّ والإوز حُرّم تأديباً على اليهود حصراً، وأحلّ لهم ما فوق الظّهر من الشّحم -كما قلنا- والأمعاء وما اختلط بعظم.

(الآية ١٤٧) – ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ١٤٧﴾:

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾: يا محمّد.

﴿فَقُل رَّبُّكُمْ﴾: هل قال: (ذو عذابٍ شديدٍ؟)، الجواب: لا، بل قال: ﴿ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾، لكن إيّاكم أن تطمعوا بالرّحمة الدّائمة، إنّها رحمة تأجيلٍ.

﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: سيأتي بأسه، ولن يُردّ عن القوم المجرمين.

(الآية ١٤٨) – ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ١٤٨﴾:

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن

شَيْءٍ﴾: هم لم يقولوا بعد، ومع ذلك عندما جاء القرآن الكريم وقال: بأنّهم سيقولون هذا، فقد قالوه، فإنّ عدوّ الله ﷻ يؤدّي الدّليل على صدق الله ﷻ.

وهذه شبهةٌ تشبّث بها المشركون في شركهم وتحريم ما حرّموه، فيقولون: إنّ الله مطّلعٌ على ما نحن فيه من الشّرك والتّحريم، وهو قادرٌ على تغييره بأن يُلهمنا الإيمان، أو يحول بيننا وبين الكفر، فلم يغيّره، فدلّ ذلك على أنّ ما نحن فيه بمشيئته وإرادته ورضاه، كما في قوله ﷻ: ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ٢٠﴾ [الزّخرف].

هنا يجب أن ننتبه بأنّهم قد جاؤوا بقضيّةٍ في العقيدة وقضيّةٍ في التّكاليف، في العقيدة أنّه: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾، فيجب أن ننتبه أنّ هناك مشيئةً كونيّةً لله ﷻ ومراداً شرعيّاً، المشيئة الكونيّة لله ﷻ لا يستطيع أحدٌ الخروج عنها، بالمعنى العامّ، صحيحٌ لو شاء الله ﷻ ما أشركوا لا هم ولا آباؤهم؛ لأنّ الله ﷻ قال: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩﴾ [يونس]، ولو شاء لأتى النّاس جميعاً طائعين له ﷻ، فإذاً من مشيئة الله ﷻ أن جعل لك مشيئةً، قال ﷻ: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف: من الآية ٢٩]، هذه نسمّيها مشيئةً كونيّةً، هم لم يخرجوا عن مشيئته الكونيّة ﷻ، لكنّهم خرجوا عن مراده الشّرعيّ، أي بالتّكليف، فعندما يقول المولى ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة]، يمكنك القول: لا أريد الصّيام، فهل المولى ﷻ هو الّذي قال لك: لا تصم؟

هناك مرادٌ شرعيٌّ لله عَزَّ وَجَلَّ، هذا المراد الشّرعيّ ترك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لك فيه الخيار، بأن توجّه ما أعطاك إيّاه إمّا باتّجاه الخير وإمّا باتّجاه الشّرّ، فإذا وجّهتهُ باتّجاه الشّرّ عُوقبتَ وحوسبت يوم القيامة، وإذا وجّهتهُ باتّجاه الخير فيكون لك الثّواب، لذلك هم يحاولون أن يلتفّوا على قضيّةٍ في العقيدة وقضيّةٍ في التّكاليف، فقالوا: ﴿وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾، فهذا الكلام مردودٌ عليهم.

﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾: أي بهذه الشّبهة ضلّ مَن ضلّ قبل هؤلاء، وهي حجّةٌ داحضةٌ باطلةٌ؛ لأنّها لو كانت صحيحةً لما أذاقهم الله عَزَّ وَجَلَّ بأسه وأليم عذابه جَلَّ جَلَالُهُ.

﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾: هل عندكم علمٌ بأنّ الله تبارك وتعالى راضٍ عنكم فيما أنتم فيه، فتظهروه لنا وتبيّنوه؟.

﴿قُلْ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾: الوهم والخيال، والمراد بالظّنّ هنا: الاعتقاد الفاسد.

﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾: تكذبون على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيما ادّعيتموه.

(الآية ١٤٩) – ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ۖ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩)﴾:

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾: الحجّة هي الدّليل الّذي نقيمه لتأييد القول في الجدال، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له الحجّة البالغة، مثال: حجّة الملكيّة، أي: الدّليل على ملكه لكلّ ما في السّماوات وما في الأرض.

﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: لو شاء الله لجعل النّاس كلّهم مؤمنين، لكنّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يريد قوالباً خاضعةً، بل يريد قلوباً ناصعةً مختارةً، وهذا هو الفرق.

(الآية ١٥٠) - ﴿قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡۚ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١٥٠﴾:

﴿قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ﴾: يا محمّد، قل لهم أن يأتوا بشهدائهم ليشهدوا فيفضح الله سبحانه وتعالى الشّهود أمام المشهود أمامهم.

﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: الهوى: شهوةٌ ترد إلى الذّهن فتجعله يعدل عن الحقّ.

من المؤكّد أنّ النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام لا يتّبع أهواء الّذين كذّبوا بآيات الله تبارك وتعالى، إنّما هو أمرٌ للأمّة جميعاً من خلاله صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾: لماذا يأتي دائماً الإيمان بالآخرة؟ والجواب؛ لأنّ الآخرة هي مناط الحساب والعقاب، وأنّ الإنسان إن لم ينظر إلى الآخرة ونظر إلى الدّنيا فقط فإنّ المشهد سيكون ناقصاً، فالعدالة الإلهيّة والثّواب والعقاب والحساب إنّما يكونون في الجزء الثّاني من المشهد وهو اليوم الآخر، وإن أغفلت هذا الجزء تخبّطت في الجزء الأوّل من المشهد وهو الحياة الدّنيا.

﴿وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾: أي يجعلون النّاس والأحبار واليهود والأصنام مساويةً لله جلّ جلاله.

(الآية ١٥١) – ﴿۞قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١﴾:

﴿۞قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ﴾: الخطاب للنّبي ﷺ، المحرّمات الّتي وردت في الآيتين القادمتين محرّماتٌ تتعلّق بالقيم المعنويّة وبالحياة الرّوحيّة، حياة القيم، وليس بالطّعام والشّراب، بينما كلّ ما ورد في الآيات السّابقة كان عن الطّعام والشّراب ما هو حلالٌ وما هو حرامٌ منهما.

﴿تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ﴾: من التّلاوة والقراءة، لكن عندما يقول المولى عز وجل: تعالوا، أي أقبلوا إلى أوامر الله سبحانه وتعالى بعلوٍّ؛ لأنّكم تأخذون من الأعلى، من الله سبحانه وتعالى ولا تأخذون من المساوي والمكافئ لكم من البشر.

﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ﴾: ماذا حرّم الله سبحانه وتعالى؟ الجواب: هناك خمسة أمورٍ حرّمها الله سبحانه وتعالى وجعلها وصيّةً: ﴿أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ﴾.

﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾: ما الفارق بين الوصيّة والأحكام؟ الجواب: الوصيّة تضمّ أمّهات المسائل في التّشريع، فعندما يموت إنسانٌ يُقال: قد وصّى هذه الوصيّة، والوصيّة تكون خلاصة تجربته في الحياة، كالوصايا الّتي

وردت في خطبة النّبيّ ﷺ في حجّة الوداع حيث قال ﷺ: «**إنّي لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد هذا، ألا وإنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرامٌ كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا حتّى تلقوا ربّكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فليبلّغ أدناكم أقصاكم، ألا هل بلّغت**»[١].

أوّل قضيّةٍ على الإطلاق هي: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾، والشّرك بالله سبحانه وتعالى بأن تجعل له مساوياً وعدلاً من بين خلقه، الأوثان والأصنام والنّار والشّمس والقمر والآلهة من البشر.. وكلّ ما هو سوى الله سبحانه وتعالى، وهناك شركٌ أصغرٌ وشركٌ أكبرٌ، فالشّرك الأصغر هو الرّياء، بأن تعمل العمل لغير الله سبحانه وتعالى، قال النّبيّ ﷺ: «**أخوف ما أخاف على أمّتي الشّرك والشّهوة الخفيّة**»، قلت: يا رسول الله، أتشرك أمّتك من بعدك؟ قال: «**نعم، أَمَا إنّهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولا وثناً، ولكن يراؤون بأعمالهم**»[٢]، والمقصود من هذا بأنّك تصلّي ليقول النّاس: فلاناً يصلّي، وتزكّي حتّى يُقال عنك: بأنّك محسنٌ كبيرٌ، تبني مسجداً حتّى يقول النّاس: إنّك بنيت هذا المسجد، تفعل الخير حتّى يُقال عنك.. فهذا شركٌ؛ لأنّك جعلت في حسبانك شيئاً غير الله سبحانه وتعالى، بعض النّاس يقول: اتّقِ شرّ من أحسنت إليه، وهذا كلامٌ غير مقبولٍ؛ لأنّك عندما أحسنت فإنّك أحسنت بأمر الله سبحانه وتعالى

---

(١) سنن البيهقيّ الكبرى: كتاب الحجّ، باب خطبة الإمام بمنى أوسط أيّام التّشريق، الحديث رقم (٩٤٦٣).

(٢) مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد: المجلّد الثّالث، ص ٢٥٩، الحديث رقم (٥٢٢٦).

وليس لهذا الشّخص، فإذا انتظرت الإحسان ممّن أحسنت إليه فهذا من الإشراك الأصغر؛ لأنّك فعلت هذا الإحسان من أجل أن يُقال عنك: محسنٌ، أمّا إذا فعلت هذا الأمر لله ﷻ فإنّه ﷻ سيهيّئ لك من يحدّث عن هذا الإحسان، حتّى لو رأيت بعض النّاس قد أنكروه، لذلك فإنّ المولى ﷻ يقول: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦﴾ [المؤمنون]، فالإشراك بالله ﷻ ليس فقط أن تعبد حجراً وصنماً ووثناً وفرعوناً..، لكنّ الإشراك بالله ﷻ أيضاً أن تعمل وأنت تنظر إلى البشر، ولا تنظر إلى إرضاء ربّ البشر.

ثانياً: الرّبّ ﷻ هو خالق الإنسان، هذا الإنسان الّذي يأتي بالتّناسل عن طريق الأب والأمّ، فإذا نظرنا إلى الإسلام من مصدره وجدنا أنّه أوّلاً حرّم الاشراك بالله ﷻ، ومن ثمّ حرّم عقوق الوالدين، وأيّ مجتمعٍ لا يقوم على العلاقة الحسنة والبرّ بين الأبناء والآباء والأمّهات هو مجتمعٌ مريضٌ فاشلٌ مهما فعل ومهما علا، فالّذي لا خير فيه لوالديه لا خير فيه للبشر ولا خير فيه للوطن ولا خير فيه لأيّ شيءٍ، لكن لاحظوا هذه اللّفتة العظيمة الرّائعة الّتي تعطي الأبوين أعظم عطاء، فالله ﷻ لم يقل: (تعالوا أتل ما حرّم ربّكم عليكم، ألّا تشركوا به شيئاً وألّا تعقّوا)؛ لأنّه يمنع أن يكون في قاموس الأولاد ما يسمّى عقوقٌ، فقال ﷻ: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾، أي أحسنوا إحساناً.

﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ﴾: من فقرٍ.

﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ﴾: انظر إلى دقّة الأداء القرآنيّ، فقد كانوا من قبل يقتلون الأولاد من فقرٍ إن كان واقعاً عليهم، سواءً أكان المولود ولداً أم بنتاً؛ لأنّهم لا يستطيعون الإنفاق عليهم، لكن هناك آيةٌ أخرى تقول: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ٣١﴾ [الإسراء]، أي خوفاً من الفقر، أمّا هنا فالفقر واقعٌ فقال ﷻ: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ﴾، فلذلك جاءت تتمّة الآية: ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ﴾، يعني أنّ الفقر واقعٌ عليكم، ﴿وَإِيَّاهُمۡۖ﴾ يأتي معه رزقه. أمّا الآية الأخرى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ﴾، يأتي بعدها: ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ﴾؛ لأنّك الآن لست في حالة فقرٍ، لكنّك تخشى أن يقع الفقر عليك إذا جاءك ولدٌ، فيقول لك المولى: نحن نرزق الولد وأنت معه، أمّا إن كان الفقر واقعاً: فنحن نرزقك أنت قبل الولد.

﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ﴾: ما الفرق بين: (لا تقرب) و(لا تفعل)؟ الأمر (لا تقرب) أي حتّى بالتّفكير، لا تقرب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والفاحشة كالزّنا واللّواط ومقدّماتهما وكلّ ما يتعلّق بهذه الأمور السّيّئة الّتي تؤدّي إلى انحلالٍ خُلُقيٍّ وإلى تسيّبٍ في الأنساب والأعراق، فيقول المولى ﷻ: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ﴾: أي لا تقترب حتّى في ذهنك وتفكيرك، ولا تقترب حتّى من مواطن الشّبهة، حتّى لا تقع في الحرام.

﴿وَمَا بَطَنَۖ﴾: أي محرّكات الأمور القلبيّة، فمثلاً: تستطيع أن تحاسب الإنسان إن فعل فعلاً سيّئاً كالزّنا فهناك قوانينٌ وأنظمةٌ ستحاسبه، أمّا كيف

تُحاسب على ما بطن؟ الحقد والغلّ والكراهية والحسد.. هذه فواحشٌ باطنيّةٌ، فمن يستطيع أن يُحاسب عليها؟، وهي أخطر؛ لأنّها تحرّك نوازع الشّرّ في الجوارح، فإذا تحرّكت من القلب إلى الجوارح قامت بهذا الفعل الفاحش، لذلك عندما نقول: يرتبط الدّين بالأخلاق ارتباطاً لا انفصام له، ولن تستطيع أبداً أن تفصل الأخلاق عن الدّين، فإنّنا نتحدّث بالعقل والمنطق والحجّة والبرهان، فالأمور الباطنة كالحقد والغشّ والحسد والكراهية لا تستطيع أن تعالجها إلّا إذا كان هناك رقيبٌ عليك في داخلك، في ضميرك، في وِجدانك، وهذا الرّقيب هو ربّك سبحانه وتعالى وكتابك ونهج الرّسالات السّماويّة الّتي نزلت على الأنبياء عليهم السلام لذلك في كلّ الأديان تجد هذه الأمور محرّمة.

﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ﴾: من أشدّ المحرّمات قتل النّفس، لم يقل: المسلم، بل أيّ نفسٍ، فكيف يدّعي الإرهابيّون والمتطرّفون والتّكفيريّون وأعداء الدّين والوطن بأنّهم يحملون شعاراً إسلاميّاً، وأوّل المحرّمات في الوصايا هي هذه المحرّمات، يقول سبحانه وتعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ﴾ [المائدة: من الآية ٣٢].

﴿ذَٰلِكُمۡ﴾: لأنّ أوامر الله سبحانه وتعالى كأنّها أمرٌ واحدٌ.

﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾: وليس: (بها)، مع أنّها خمسة محرّمات؛ لأنّ الأمر والآمر واحدٌ.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: في الآيات المتتابعة هناك عشر وصايا: خمسٌ بأربعٍ بواحدةٍ، فجاء بعد الخمس الأوائل بقوله ﷻ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، فأولئك الذين يدّعون ويقولون: بأنّ الإسلام لا يتعلّق بالعقل، نردّ عليهم بكلّ القرآن الكريم، ومنه هذه الآية: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، فلم يقل: (لعلكم تتّقون)، كأنّ الله ﷻ يقول لك: فكّر فيها بعقلك، لا تشرك به، فهل تساوي الخلق مع الخالق ﷻ؟ وهل يقبل العقل أن يُهان الأب أو الأمّ؟ هل يقبل العقل بقتل الولد إن كان الأب فقيرٌ؟ هل يقبل العقل بالزّنا واللّواط وغيرهما من الفواحش؟ فهذه شهوةٌ وهوىً وليست من العقل أبداً، هل يقبل العقل بقتل إنسانٍ بلا سببٍ مهما كان؟ يقول عليه الصّلاة والسّلام: «**دخلت امرأةٌ النّار في هرّةٍ ربطتها، فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض**»[1]، هي لم تقتلها، لكنّها تسبّبت في موتها، هذا هو الدّين الإسلاميّ. فلا يستطيع أحدٌ أن يجعل العقل له ويقول: نحن أصحاب عقلٍ، القرآن الكريم يُخاطب بالحجّة البالغة، بالعقل، ويحترم عقل الإنسان؛ لأنّه جعل هذا العقل مناط التّكليف، وإذا ذهب العقل فإنّ التّكليف يسقط، فأيّ احترامٍ للعقل كهذه الآيات وفي كلّ آيات القرآن الكريم؟!

بعد الوصايا الخمس الأولى يأتي بأربع وصايا في الآية التّالية:

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدّوابّ فواسق يقتلن في الحرم، الحديث رقم (٣١٤٠).

(الآية ١٥٢) - ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ١٥٢﴾:

﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾: قال: بالّتي هي أحسن، ولم يقل: بالحسنى، فأيّ شيءٍ أحسن؟ مال اليتيم هو أمرٌ عظيمٌ، وإكرام اليتيم هو أمرٌ في نصّ القرآن الكريم؛ لأنّ اليتيم فقد أباه، وهو بحاجةٍ للمجتمع، لذلك نجد في القرآن الكريم: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ١﴾ [الماعون]، من الّذي يكذّب بالدّين؟ هل هو الّذي لا يصلّي ولا يصوم ولا يحجّ؟ الجواب: لا، فقد أتى إلى جزئيّةٍ مهمّةٍ؛ ليعلمك المولى سبحانه وتعالى بأنّ الدّين إنّما جاء من أجل كلّ البشر، فقال جلّ جلاله: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ٧﴾ [الماعون]، يمنعون الخير، الماعون: هو المعونة، ويراؤون: أي يعملون للنّاس ولا يعملون لربّ النّاس، فإذا عملت لربّ النّاس فقد ضمنت المجتمع، هذا هو الدّين، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**خير بيتٍ في المسلمين بيتٌ فيه يتيمٌ يُحسن إليه، وشرّ بيتٍ في المسلمين بيتٌ فيه يتيمٌ يُساء إليه، أنا وكافل اليتيم في الجنّة هكذا**» وأشار بالسّبابة والوسطى[1]، والنّبيّ صلى الله عليه وسلم هو اليتيم الأوّل، قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمۡ

(١) كنز العمّال: ج٣، الحديث رقم (٥٩٩٤)، كافل اليتيم: الّذي يُنفق عليه.

﴿يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ٦﴾ [الضّحى]، وهنا قال سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ﴾، حتّى لا يخطر ببالك أن تقترب من مال اليتيم، ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾، أي أن تثمّر هذا المال لصالح اليتيم حتّى يبلغ أشدّه، ويستطيع التّصرّف بماله.

﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾: انظر كم هو أمرٌ مهمٌّ المساواة بين النّاس وعدم غشّهم وخداعهم.

﴿بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾: أي بالعدل.

﴿ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾: الكيل للأحجام، والوزن للكثافة، فيجب أن توفّي المكيال وأن تقسط في الميزان.

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ﴾: كلما دقّ الأمر كلّما زادت حساسية الميزان، فمثلاً نسمة الهواء تؤثّر في الميزان عند وزن الذّهب، لذلك قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ﴾، تأخذ كلّ الاحتياطات حتّى لا يكون هناك خسرانٌ بالمكيال أو الميزان، وهذا من مصلحة الإنسان، فلا يحتكر ولا يغشّ ولا يربح إنسانٌ على إنسانٍ. تعمل كلّ ما تستطيع ضمن وسعك؛ لأنّه كما ذكرنا قد يكون الميزان حسّاساً جدّاً فلا تستطيع أكثر من ذلك.

﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ﴾: العدل هل يكون بالقول أو بالعمل؟ قال سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ [النّساء]، وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النّحل]، وهنا قال:

﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ﴾، فالعدل لا يقتصر فقط على الفعل والجوارح، وإنّما عليك أن تدرّب لسانك ليكون عادلاً، مثلاً: في الشّهادة، العدل بالقول حتّى ولو كان يتعلّق بالقربى، فإذا ما اعتدت العدل في قولك أَلِفته في أعمالك، نحن ينقصنا العدل في الأقوال حتّى تتحوّل الجوارح والعمل إلى العدل، فقد تجد بعض النّاس يشطّون في كلامهم ويأخذون منحىً آخر، فأين العدل؟ وعندما يشهد الإنسان في المحاكم يحتاج إلى قولٍ، ويجب أن يكون هذا القول عادلاً، لكن لماذا قال: ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ﴾، ولم يقل: (فاصدقوا)؟ هناك آياتٌ كثيرةٌ تتعلّق بالصّدق، يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة]، وقال جلّ جلاله: ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٠٥﴾ [النّحل]، لكن هنا قال عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ﴾، أي أنّ الله سبحانه وتعالى يريد للعدل بين النّاس أن يتحقّق أوّلاً بأن يعتاد اللّسان العدل عند الغضب وعند الرّضا:

وعين الرّضا عن كلّ عيبٍ كليلةٌ وعين السّخط تُبدي المساويا

فعندما أكون راضياً عن إنسانٍ فإنّي لا أتحرّى المساوئ، وعندما أكون في حالة غضبٍ فإنّي أتحرّى المساوئ وأقلب الحقائق، فقلب الحقائق يحتاج إلى عدلٍ بالقول، حتّى ولو كان أقرب النّاس لك.

﴿وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْ﴾: هذه الوصيّة التّاسعة، فما هو عهد الله سبحانه وتعالى؟ الجواب: هو عهد الإيمان بالله سبحانه وتعالى، فعندما يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فهناك عهدٌ، فعندما آمنت به ربّاً تقول: أنا مؤمنٌ، ولكن أين

الدّليل على هذا الإيمان؟ أين العهد في هذا الإيمان؟ أنت آمنت بالله ﷻ فعندما أمرك الله ﷻ فأنت لا تريد أن تُطيع ولا تريد أن تنتهي، وتقول: أنا مؤمنٌ بالله ﷻ، فالإيمان هو تكاليفٌ، وهو طاعةٌ، يا أيّها الّذين آمنوا لا تقربوا كذا، يا أيّها الّذين آمنوا افعلوا كذا، يا أيّها الّذين آمنوا حُرّم عليكم كذا، هذا هو العهد.

﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: المرّة الأولى كان التّذييل: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، وفي المرّة الثّانية قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ هذه الأمور تكون شائعةً في المجتمع، فقال ﷻ: تذكّروا واجعلوها من الأمر الدّينيّ، فإن كنت تُكرم اليتيم هكذا فاجعلها لله ﷻ، وتذكّر أنّ هذا من أوامر الله ﷻ وأنّه يرضيه جلّ وعلا.

(الآية ١٥٣) - ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾:

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى﴾: أي قل لهم يا محمّد: إنّ هذا صراطي، والصّراط: هو السّبيل والطّريق الموصل إلى الغايات.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾: كان الرّسول ﷺ جالساً مع أصحابه فخطّ خطّاً مستقيماً، وخطّ على جانبيه عدّة خطوط، ثمّ قرأ الآية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾، أي عن سبيل محمّدٍ ﷺ، وهذا هو أمر الله ﷻ.

﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: هنا قال: ﴿تَتَّقُونَ﴾؛ لأنّ

سبيل محمّد ﷺ هو سبيل التّقوى وهو سبيل جوامع الخير.

قال كعب الأحبار: هذه هي الوصايا العشر الّتي جاءت لسيّدنا موسى عليه السلام في التّوراة، وهذه الأمور الأخلاقيّة القيميّة المعنويّة الّتي تعطي نور القيم للإنسانيّة جميعاً إنّما جاءت في كلّ الأديان، ولم تُنسخ في أيّ دينٍ، ففي كلّ الأديان هي محرّمةٌ على النّاس جميعاً.

(الآية ١٥٤) - ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ١٥٤﴾:

جاء هنا بهذه الآيات بما يتعلّق بسيّدنا موسى عليه السلام؛ لأنّ الجدل وكلّ ما يتعلّق بالتّحليل والتّحريم كان يقوده اليهود في المدينة ضدّ النّبيّ ﷺ، وعندما جاء النّبيّ ﷺ بهذه الوصايا العشر دحض بها حجج اليهود وأحبارهم الّذين كانوا يناقشونه، لذلك قال كعب الأحبار عندما نزلت هذه الآيات: إنّها والله هي الوصايا العشر الّتي كانت في التّوراة.

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: نحن نعلم بأنّ ﴿ثُمَّ﴾ حرف عطفٍ تأتي للتّراخي الزّمنيّ، فهل تعني هنا أنّ الله سبحانه وتعالى آتى موسى عليه السلام الكتاب بعد أن آتى محمّداً ﷺ هذه الأوامر؟ الجواب: بالتّأكيد لا، فهذا عدم فهمٍ باللّغة العربيّة، فكما أنّ: ﴿ثُمَّ﴾ تأتي حرف عطفٍ لترتيب الأفعال والأحداث، فكذلك تأتي أيضاً لترتيب الأخبار، فتقول مثلاً: أنا فعلت معك كذا وكذا، ثمّ قد كنت فعلت مع أبيك كذا وكذا، وثمّ قد كنت فعلت مع جدّك كذا وكذا.. فإذاً تتصاعد الأخبار، إذاً هنا هي ليست لترتيب

الأفعال والأحداث، وإنّما لتصاعد الأخبار، والدّليل على ذلك قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ١١﴾ [الأعراف]، هو أوّلاً قال للملائكة: اسجدوا لآدم، وقبلها كان قد صوّرنا، وقبلها كان قد خلقنا، فإذاً هذا تصاعد الخبر، فالمعنى: عندما قلنا للنّبيّ الوصايا العشر، ﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ وسابقاً آتينا موسى عليه السلام الكتاب.

﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾: هو التّوراة الّذي أُنزل على موسى عليه السلام، وكلّ الكتب السّماويّة والصّحف والرّسالات من لدن آدم عليه السلام إلى سيّدنا محمّد ﷺ تأتي هدىً تهدي النّاس هدايةَ دلالةٍ ورحمةٍ، وقد ذكرنا سابقاً: بأنّ الهداية لها نوعان: النّوع الأوّل: هداية دلالةٍ، وهي لكلّ البشر، كما جاء موسى عليه السلام بالتّوراة، وجاء سيّدنا عيسى عليه السلام بالإنجيل، وجاء سيّدنا إبراهيم عليه السلام بالصّحف، وجاء سيّدنا داوود عليه السلام بالزّبور، فكلّها جاءت هداية دلالة، أي تدلّ النّاس على الطّريق وعلى الخير، ويأتي الرّسول مؤيَّداً بمعجزةٍ من الله ﷻ ليثبت هذه الهداية الّتي جاء بها، حتّى جاء النّبيّ محمّد ﷺ فكانت معجزته هي عين منهجه، أي القرآن الكريم، لذلك جاءت الآية الّتي بعد ذكر موسى عليه السلام مباشرةً: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ﴾، هذه هداية الدّلالة، أمّا هداية المعونة فعندما تأخذ بهداية الدّلالة فإنّ الله ﷻ يُعينك كما قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧﴾ [محمّد].

﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ﴾: التّمام جاء استيعاباً لصفات الخير.

فاليهود الّذين عاصروا النّبيّ ﷺ منهم من آمن بالتّوراة، فلا بدّ أن يتمّوا هذه بالّتي هي أحسن باتّباع ما جاء بالتّوراة، ويؤمنون بما جاء به سيّدنا محمّدٌ ﷺ؛ لأنّه ذُكر في التّوراة.

﴿وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾: جاء بكلّ ما يناسب الزّمن الّذي نزل فيه، ففي التّوراة فصل كلّ شيٍ فيما يتعلّق بزمن نزول التّوراة، أمّا بالنّسبة للقرآن الكريم فآياته مفصّلةٌ وجاهزةٌ لكلّ زمانٍ، فالقيم الّتي جاء بها القرآن الكريم كالصّدق مثلاً تنطبق على التّاجر والموظّف والأب والأمّ والابن والابنة والمحامي والقاضي.. إذاً تنطبق على الجميع، وفي كلّ زمانٍ، وكذلك معايير الأمانة والإخلاص والقيم.. والقرآن الكريم جاء ليرفع من شأن الإنسان بما أعطاه من قيمٍ في ثنايا آياته الكريمة.

﴿وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ﴾: الهدى: هو ما يدلّ على الغاية، والرّحمة: هي كلّ العناصر فوق عناصر الخير، وكلّ الرّسالات السّماويّة جاءت رحمةً من الله سبحانه وتعالى بخلقه؛ لأنّ الرّسالات السّماويّة تدلّ النّاس على طرق الخير بما يصلح دنياهم وآخرتهم، بأنّهم يدخلون الجنّة ثواباً لما قاموا به امتثالاً لكتبهم السّماويّة.

﴿لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾: لقاء الله سبحانه وتعالى يجب أن يكون في ذهن الإنسان، مهما طال به الزّمن ومهما عمّر، والرّسالات السّماويّة دائماً تتحدّث عن ذلك اليوم، يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٨﴾ [يونس]، لقاء الله سبحانه وتعالى هو الأمر النّهائيّ الحاسم للإنسان فيما

يقوم به في هذه الحياة من أجل اللّقاء.

فكلّ ما جاء في التّوراة من هدايةٍ ومن رحمةٍ فإنّما هو من أجل هذا اليوم، يوم اللّقاء مع الله سبحانه وتعالى، فجاء قول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾؛ لأنّ مَن كان يجادل ويحارب النّبيّ صلى الله عليه وسلم هم اليهود والمشركون، لكن الجدل والنّقاش الّذي تمّ في المدينة المنوّرة كان يقوده اليهود، وكلّ عداءٍ لهذه الأمّة جاء من اليهود.

(الآية ١٥٥) – ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥﴾:

﴿وَهَٰذَا﴾: الحديث هنا عن القرآن الكريم، ﴿وَهَٰذَا﴾: إشارةٌ لشيءٍ تقدّم، وعندما تأتي: ﴿وَهَٰذَا﴾ إشارةٌ لمتعيَّنٍ لا ينصرف الذّهن إلّا إليه، ولا ينصرف الذّهن إلّا إلى القرآن الكريم لعظمة كتاب الله جل جلاله.

﴿كِتَٰبٌ﴾: لأنّه مكتوبٌ في السّطور محفوظٌ في الصّدور، هذا الكتاب كُتب بعد أن حُفظ واسُتخرج من صدور الحافظين.

﴿أَنزَلۡنَٰهُ﴾: وهو الإنزال من الله سبحانه وتعالى عن طريق جبريل الأمين عليه السلام، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣﴾ [الدّخان].

﴿مُبَارَكٞ﴾: أكثر صفةٍ وردت في كتاب الله سبحانه وتعالى هي ﴿مُبَارَكٞ﴾، ومباركٌ، أي: هناك حجمٌ، هذا الحجم لا يتناسب مع العطاء، لا تنقضي عجائبه، هذا يقرأ القرآن الكريم فيأخذ منه، وهذا يقرأ القرآن الكريم فيأخذ منه، وهذا يقرأ القرآن الكريم منذ ألف عامٍ، فيأخذ منه ويصلح له، وهذا

يقرأ القرآن بعد ألف عامٍ وحتّى يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها فيأخذ منه.. فإذاً عطاؤه متجدّدٌ، وإذا مثّلنا الأمر بالطّعام الّذي يكفي اثنين، فأكل منه عشرةٌ فنقول: هذا الطّعام فيه بركةٌ، أي أنّ حجمه قليلٌ ولكنّ عطاءه كبيرٌ، مباركٌ، عطاء القرآن يتناسب مع قدرة العقول البشريّة في كلّ زمانٍ، فأنت في كلّ زمنٍ تأخذ من القرآن الكريم ما يناسب عقلك البشريّ، فعندما تقرأ وأنت في القرن الواحد والعشرين أو الثّاني والعشرين أو الثّالث والعشرين أو الرّابع والعشرين فإنّك ستجد بأنّ كلّ كلمةٍ من كتاب الله ﷻ تتناسب مع استطاعة وقدرة العقل بما استوعب من علومٍ واكتشافاتٍ حديثة، وهي لا تناقض القرآن الكريم؛ لأنّه كلام الله ﷻ المنزّل على رسوله محمّد ﷺ، وعجائبه لا تنقضي كما قال النّبيّ ﷺ في الحديث الّذي رواه سيّدنا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، قال ﷺ: **«إنها ستكون فتنة»، قال: قلت: فما المخرج؟ قال: «كتاب الله، فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبّار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى -أو قال: العلم- من غيره أضلّه، هو حبل الله المتين، وهو الذّكر الحكيم، وهو الصّراط المستقيم، وهو الّذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخْلقُ عن كثرة الرّدّ، ولا تنقضي عجائبه»**[1].

---

(١) شعب الإيمان: التّاسع عشر من شعب الإيمان هو بابٌ في تعظيم القرآن، فصلٌ في تعاليم القرآن، الحديث رقم (١٩٣٥).

﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾: فعل أمرٍ، هو مباركٌ إذاً فاتّبعوه، فلا تقرؤوه فقط، بل لا بدّ أن تعملوا بما جاء فيه؛ لأنّ فيه أوامرَ، وفيه نواهٍ، وعبادة الله ﷻ هي طاعةٌ له ﷻ، فكيف تُعبّر عن حبّك لله ﷻ؟

تعصي الإله وأنت تظهر حبّـه   هذا لعمري في القياس بديعُ

لو كان حبّك صـادقاً لأطعتـه   إنّ المحـبّ لمـن يحبّ مطيعُ

تقول: إنّك تحبّ الله ﷻ وتحبّ القرآن الكريم، والقرآن أمرك بالصّدق فكيف تكذب وتقول: إنّك تحبّ الله ﷻ؟ كيف تغتاب وتقول: إنّك تحبّ الله ﷻ؟ كيف ترتشي وتقول: إنّك تحبّ الله ﷻ؟ كيف تقتل البشر وتقول: إنّك تحبّ الله ﷻ؟ كيف تخون وتقول: إنّك تحبّ الله ﷻ؟ كيف تؤذي جيرانك وتقول: إنّك تحبّ الله ﷻ؟

﴿وَٱتَّقُواْ﴾: التّقوى: أي خافوا منه، اجعلوا بينكم وبين صفات الجلال حاجزاً؛ لأنّه شديد العقاب المنتقم الجبّار القهّار.

﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾: لأنّكم إذا لم تتّقوا فكيف ستتنزّل عليكم الرّحمات والعطاءات الإلهيّة؟ كيف سيرحمكم المولى ﷻ يوم القيامة إذا كنتم تخالفون أوامره؟

(الآية ١٥٦) – ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ١٥٦﴾:

الخطاب الآن للعرب وللمشركين الّذين كانوا في المدينة ولقريش ولكلّ النّاس الّذين ناهضوا الرّسول ﷺ من غير اليهود.

﴿أَن تَقُولُوٓاْ﴾: لمشركي مكّة ومشركي المدينة.

﴿إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا﴾: من أجل ألّا تقولوا: أنزل على اليهود التّوراة، وعلى النّصارى الإنجيل، ونحن لم ينزل علينا شيءٌ.

﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ﴾: لأننّا أمّيّون لا نعرف أيّ شيءٍ.

(الآية ١٥٧) – ﴿أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدًى وَرَحۡمَةٌۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ ١٥٧﴾:

﴿أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ﴾: لو أنزل علينا التّوراة لكنّا أهدى، ولأخذنا أكثر ممّا أخذ اليهود.

﴿فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾: البيّنة هي القرآن الكريم.

﴿وَهُدًى وَرَحۡمَةٌ﴾: الهدى: هو الطّريق الموصل إلى الغاية، إذاً فيه هدىً ورحمةٌ لكم.

﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: الإنسان عندما يظلم نفسه يكون أظلم ممّن يظلم غيره.

﴿وَصَدَفَ عَنۡهَا﴾: أي انصرف وأعرض عنها.

﴿سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا﴾: هم انصرفوا عنها وصرفوا غيرهم عن آيات الله سبحانه وتعالى.

﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ﴾: أي بما كانوا يعرضون ويصرفون أنفسهم وغيرهم عن ذكر الله ﷻ وعن كتابه وعمّا جاء به رسوله ﷺ.

(الآية ١٥٨) - ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٥٨﴾:

ملائكة الموت عندما تأتي وتبسط أيديها تقول لهم: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٩٣﴾ [الأنعام: من الآية ٩٣].

﴿أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ﴾: الإتيان من الرّبّ هل هو كالإتيان من البشر؟

الجواب: الله ﷻ كما أخبر ﷻ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشّورى: من الآية ١١]، فأنت تبصر والله ﷻ بصيرٌ، فهل أنت ببصرك كما هي صفات الله ﷻ؟ الإتيان من الرّبّ ليس هو انخلاعٌ من مكانٍ إلى مكانٍ، فهذا يكون للإنسان، فعندما يقول النّبيّ ﷺ: «**ينزل الله إلى السّماء الدّنيا كلّ ليلةٍ حين يمضي ثلث اللّيل الأوّل فيقول: أنا الملك أنا الملك، من ذا الّذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الّذي يسألني فأعطيه، من ذا الّذي يستغفرني فأغفر له، فلا يزال كذلك حتّى يضيء الفجر**»(١)، فإنّه ﷻ

---

(١) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب التّرغيب في الدّعاء والذّكر في آخر اللّيل والإجابة فيه، الحديث رقم (٧٥٨).

ينزل نزولاً يليق بجلاله وبكمال صفاته، وليس هو نزولٌ من مكانٍ إلى مكانٍ، وليس هو إتيان انخلاعٍ من مكانٍ إلى مكانٍ، الإتيان من الرّبّ بالنّسبة لنا غير معلومٍ، لكنّ المعلوم هو أنّه ليس كمثله شيءٌ.

﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾: آياتٌ: أي علاماتٌ، وذلك قبل يوم القيامة، تأتي بعض الآيات، من أمارات السّاعة وأشراطها كما قال البخاريّ في تفسير هذه الآية: حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تقوم السّاعة حتّى تطلع الشّمس من مغربها، فإذا رآها النّاس آمن مَن عليها، فذاك حين: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾**»(١)، وقال صلى الله عليه وسلم: «**بادروا بالأعمال ستّاً، قبل طلوع الشّمس من مغربها، والدّخان، والدّجّال، ودابّة الأرض، وخويصة أحدكم، وأمر العامّة**»(٢)، خويصة أحدكم: أي يأتي الموت لشخصٍ، وأمر العامّة: أي يوم القيامة.

﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾: عندما تأتي هذه العلامات، أي عندما يأتي الموت، أو عندما يأتي يوم القيامة، أو عند طلوع الشّمس من مغربها، أو الدّخان، أو دابّة الأرض، أو الدّجّال، لا ينفع الإيمان في هذا الوقت، لماذا؟ الجواب؛ لأنّ الإيمان هو إيمانٌ بشيءٍ غيبيٍّ، وعندها يُصبح مشهديّاً، عند الموت ترى

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب التّفسير، باب سورة الأنعام، الحديث رقم (٤٣٥٩).

(٢) المستدرك على الصّحيحين: الجزء ٤، ص٥٦١، الحديث رقم (٨٥٧٤).

ملائكة الموت، فتكون قد شاهدت الحقيقة، فلا يكون إيماناً عندها، فمثلاً: أنت لا تقول: إنّك تؤمن أنّ القلم معك، وأنت تُمسكه بيدك، بل تقول: أؤمن بأنّ هناك أناسٌ يفعلون كذا وكذا، فالإيمان يكون بالشّيء الغيبيّ.

﴿أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾: أدّى إيمانها إلى خيرٍ، وأخذت الخير من هذا الإيمان سابقاً.

﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ﴾: الانتظار؛ لأنّ الشّيء قادمٌ، كالخويصة أي الموت، فهل سيتخلّف أحدٌ عن الموت؟ قال ﷻ: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ١٩﴾ [ق]، كيف جاءت سكرة الموت بالحقّ؟ كيف المجيء؟ هل انتقلت من مكان إلى مكان؟

﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾: فنحن منتظرون، قال ﷻ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠﴾ [الزمر]، وقال ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: من الآية ١٨٥].

(الآية ١٥٩) – ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ١٥٩﴾:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾: يفرّقون الدّين؛ لأنّهم يناقضون منهج السّماء، فالدّين أمر بالوحدة، وأمر أن يكون النّاس في صفٍّ واحدٍ، قال ﷻ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: من الآية ١٠٣].

﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾: كلّ دعوةٍ دينيّةٍ تفرّق النّاس فهي ليست من الدّين؛ لأنّها تخالف وتناقض منهج السّماء، فإنّ الّذين فرّقوا دينهم لست منهم يا محمّد في شيءٍ؛ لأنّ كلّ دعوات التّفرقة والتّمزيق والطّائفيّة هي

دعواتٌ لا علاقة لها بالدّين؛ لأنّ الدّين يدعو إلى الوحدة.

﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾: ينبّئهم يوم القيامة بما فعلوا في هذه الحياة الدّنيا.

(الآية ١٦٠) – ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠﴾:

﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾: التّاء في كلمة الحسنة ليست تاء تأنيثٍ، إنّما هي تاء المبالغة، الحسنة هي الخير الّذي يورث الثّواب.

﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾: عن النّبيّ ﷺ فيما يروي عن ربّه ﷻ قال: «**إنّ الله كتب الحسنات والسّيئات ثمّ بيّن ذلك، فمن همّ بحسنةٍ فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنةً كاملةً، فإن هو همّ بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسناتٍ إلى سبعمئة ضعفٍ إلى أضعافٍ كثيرةٍ، ومن همّ بسيئةٍ فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنةً كاملةً، فإن هو همّ بها فعملها كتبها الله له سيّئةً واحدةً**»(١)، ما هذه العظمة؟ وما هذه الرّحمة من الله سبحانه وتعالى؟ الحسنة بعشر أمثالها إلى أضعافٍ مضاعفةٍ، قال سبحانه وتعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [البقرة].

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الرّقاق، باب من همّ بحسنةٍ أو بسيّئةٍ، الحديث رقم (٦١٢٦).

﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾: هذه قمّة العدل مع الرّحمة.

(الآية ١٦١) – ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١﴾:

﴿قُلۡ﴾: قل يا محمّد.

﴿إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ﴾: أي دلّني ربّي.

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾: هو صراط الله سبحانه وتعالى، الصّراط الموصل إلى الغاية، والصّراط هو أقصر مسافةٍ بين نقطتين، بين الدّنيا والآخرة، بين الدّنيا والجنّة، وهو طريق الأنبياء عليهم السلام.

﴿دِينٗا قِيَمٗا﴾: قيماً تقوم عليه الحياة بالقيم، جاء غذاءً للرّوح، فالدّين كلّه قيمٌ وأخلاقٌ، قال صلى الله عليه وسلم: «إنّما بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق»[1]، الصّدق، الأمانة، الإيثار، المحبّة، التّعاون، العطاء، الغيرة.. كلّ السّيّئات الأخلاقيّة طرحها جانباً.

﴿مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا﴾: حنيفاً: أي مائلاً عن الشّرك، والحنف هو الميلان؛ لأنّ اليهود كانوا يدّعون بأنّهم يتّبعون إبراهيم عليه السلام، وهو جدّ الرّسول وهو أبو الأنبياء عليهم السلام.

(الآية ١٦٢) – ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢﴾:

---

(١) سنن البيهقيّ الكبرى: كتاب الشّهادات، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها التي من كان متخلّقاً بها كان من أهل المروءة، الحديث رقم (٢٠٥٧١).

﴿قُلۡ﴾: قل يا محمّد.

﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي﴾: الصّلاة هي عمدة الأركان؛ لأنّها لا تسقط عن الإنسان في حالٍ من الأحوال، فالحجّ من استطاع إليه سبيلاً، والصّيام كما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾ [البقرة: من الآية ١٨٤]، والزّكاة تحتاج لنصابٍ، فإن لم يبلغ المال النّصاب فلا زكاة فيه، وفي الصّلاة يوجد حجٌّ بالتّوجّه إلى الكعبة، وفيها صيامٌ؛ لأنّك صائمٌ عن الطّعام والشّراب أثناء الصّلاة، وفيها زكاةٌ؛ لأنّها اقتطاع جزءٍ من الوقت، والوقت هو أصل العمل، والعمل هو الّذي يعطي ثمرة المال والزّكاة.

﴿وَنُسُكِي﴾: كلّ عبادةٍ اسمها نُسك، ولكن اشتهرت بها مناسك الحجّ، مأخوذة من النّسيكة، وهي السّبيكة من الفضّة الّتي تصهر حتّى تكون صافيةً، فالنّسك أي العبادات يجب أن تكون خالصةً لله سبحانه وتعالى، أنت تفعل خيراً لكي يسجّله الله سبحانه وتعالى لك وليس من أجل أن يُقال عنك: محسنٌ كريمٌ، تصلّي ليس من أجل أن يُقال عنك: مصلٍّ، وتزكّي ليس من أجل أن يمدحك النّاس، وتحجّ ليس ليُقال عنك: الحاجّ فلان، يجب أن تكون صافيةً كالسّبيكة. إذاً الصّلاة والنّسك والعبادات بيدك.

﴿وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي﴾: هذه بيد الله سبحانه وتعالى.

﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: الحياة يجب أن تكون لله سبحانه وتعالى حتّى يكون الموت في طاعة الله سبحانه وتعالى.

(الآية ١٦٣) – ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾:

﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ﴾: أُمرت بأن تكون العبادات والصّلاة خالصةً صافيةً لا شِرك فيها ولا رياء، لله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى لا شريك له.

﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾: أُنزِل عليّ الإسلام، فأنا أوّل من آمن بالإسلام، وكلّ الأنبياء أُخذ منهم العهد بأن يؤمنوا بالنّبيّ محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالنّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أوّل المسلمين.

(الآية ١٦٤) – ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ١٦٤﴾:

﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا﴾: أبغي: أريد، يناقشهم هل أبغي ربّاً غير الله، حجراً أو صنماً أو...

﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ﴾: الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى ربّ كلّ شيءٍ؛ لأنّه هو المعطي وهو المنعم.

﴿وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَا﴾: انظر إلى عظمة القرآن الكريم، فالله تبارك وتعالى لم يقل: (ولا تكسب كلّ نفسٍ إلّا لها)، بل قال: ﴿إِلَّا عَلَيۡهَا﴾؛ لأنّك تعتقد أنّ الكسب إن لم يكن لله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى فهو لك، بل هو عليك؛ لأنّك ستحاسب عليه أين أنفقته؟، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تزول قدما عبدٍ حتّى يُسأل عن أربعٍ: عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ما فعل فيه، وعن**

ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه»[1].

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾: الوزر: هو الثّقل بمشقّة، كلّ إنسانٍ يحمل وزره، ولا يحمل وزر غيره إلّا إذا أضلّ غيره.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: قد كان الخصام والجدل والمحاكاة مع اليهود، فبيّن سبحانه وتعالى أنّ العودة إليه جلّ جلاله، وهو الّذي ينبّئهم بما كانوا يختلفون فيه مع الرّسول صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين، وهذا حال كلّ النّاس.

(الآية ١٦٥) – ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾: وكلمة: ﴿خَلَائِفَ﴾ لها معنيان:

١- أي الإنسان إمّا هو خليفةٌ لله سبحانه وتعالى في الأرض؛ لأنّ الله جلّ جلاله استأمنه على خلقه، واستخلفه في هذه الحياة الدّنيا.

٢- أو يأتي بمعنى آخر: خلائف الأرض: أي واحدٌ يخلف الآخر، جيلٌ يخلف جيلاً، الأبناء يخلفون الآباء.. هذه المدينة إن كانت لكم الآن، فلن تكون لكم بعد مئة عام، ستصبح لغيركم.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾: مَن المرفوع ومن المرفوع عليه؟ الجواب: كلّ إنسانٍ هو مجموع المواهب الّتي تكون فيه، قد تكون أنت مرفوعاً في جانبٍ ويكون غيرك مرفوعاً في جانبٍ آخر، أنت أعطاك الله سبحانه وتعالى مثلاً طاقةً في الذّكاء، وأعطى غيرك طاقةً في العضلات، وأعطى فلاناً طاقةً في الخبرة،

(١) كنز العمّال: الجزء ١٤، ص٣٧١، الحديث رقم (٣٨٩٨٢).

رفع الله ﷻ بعضكم فوق بعضٍ درجاتٍ، هذا مرفوعٌ وهذا مرفوعٌ عليه.

﴿لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾: ليمتحنكم وليختبركم فيما آتاكم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾: أي عقابه آتٍ؛ لأنّهم كانوا يستبطئون العذاب، فيقولون: ائتونا بعذاب الله، أين الله؟.. إلخ، فيخبر ﷻ أنّه سريع العقاب؛ لأنّه مهما طال عمر الإنسان فإنّه ملاقٍ أجله، ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١٤﴾ [المؤمنون]، يوم الموت يشعر الإنسان أنّ حياته كانت لحظةً واحدةً، إذاً فهو سريع العقاب؛ لأنّه سيأتي العقاب.

﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾: فهو يطمئن عباده المؤمنين أنّه غفورٌ رحيمٌ، يتجاوز عن السّيئات ويغفر الزّلّات ويرحم العباد، كما جاء في كتابه الكريم فالله ﷻ أرسل رسوله هدايةً ورحمةً ليغفر لنا ذنوبنا، وهناك أحاديثُ كثيرةٌ عن رحمة الله ﷻ، منها ما رواه سيّدنا عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: أنّه قدم على رسول الله ﷺ سبيٌ، فإذا امرأةٌ تسعى إذ وجدت صبيّاً في السّبي أخذته فأرضعته، فقال لنا رسول الله ﷺ: «**أترون هذه المرأة طارحةً ولدها في النّار؟**»، قلنا: لا والله، وهي تقدر على ألّا تطرحه، فقال رسول الله ﷺ: «**الله أرحم بعباده من هذه المرأة بولدها**»[1]، فالله ﷻ رحيمٌ وغفورٌ، جاء حبيب بن الحارث إلى رسول الله عليه الصّلاة والسّلام فقال: يا رسول الله،

(١) شعب الإيمان: الخامس والسّبعون، الحديث رقم (١١٠١٨).

إنّي رجل مِقرافٌ، قال: «**فتُب إلى الله يا حبيب**»، قال: يا رسول الله، إنّي أتوب ثمّ أعود، قال: «**فكلّما أذنبت فتُبْ**»، قال: يا رسول الله، إذن تكثرْ ذنوبي، قال: «**عفو الله أكبر من ذنوبك يا حبيب بن الحارث**»(١).

❀ ❀ ❀

(١) مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد: ج ١٠، الحديث رقم (١٧٥٣١)، ومِقراف: صيغة مبالغة من قارف: يُقال: قارف الخطيئة: أي خالطها.

تفسير سورة (الأعراف)

من الآية: (١ – ٨٧)

تفسير سورة (الأعراف) من الآية: ١-٨٧

هي سورةٌ مكيّةٌ سمّيت بالأعراف نسبةً إلى المكان المرتفع الّذي سيقف عنده من تساوت حسناتهم مع سيّئاتهم، قال ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٌ﴾ وهي من السّور الّتي تحدّثت في البدء عن سيّدنا آدم عليه السلام وعن إبليس، وبعد ذلك عن يوم الحساب وعن الجنّة والنّار، ويعرض المولى ﷻ قصص مجموعةٍ كبيرةٍ من الأنبياء عليهم السلام لكي تكون عبرةً وموعظةً للمؤمنين في كلّ زمانٍ، ونحن نعلم أنّ القصص القرآنيّ يختلف عن القصص البشريّ بأنّه لا يهتمّ بالشّخصيّات، وإنّما يهتمّ بالعبرة والعظة، ويُغلّب الحدث على الشّخصيّة.

(الآية ١) - ﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾:

هذه الحروف المقطّعة الّتي ترد في أوائل كثيرٍ من سور القرآن الكريم مبنيّةٌ على القطع وليس على الوصل، أمّا القرآن الكريم فكلّه مبنيٌّ على الوصل، ونحن نجد في آخر كلّ آيةٍ آخر كلمةٍ بالحركة الّتي نُظهرها إذا وصلنا الآية بما بعدها، مثلاً في قوله ﷻ: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ۝١٨٦﴾ [البقرة: من الآية ١٨٦]، انتهت كلمة (يرشدون) بالفتح وليس السّكون، ولو وُصلت الكلمة بما بعدها تُقرأ بالفتح، وإذا وُقف عليها يُوقف بالسكون... وهكذا في باقي الآيات ونهايات السّور، إذ الوقف يكون بالسّكون ولا يكون الوقف بالحركة الكاملة.

فالقرآن الكريم كلّه مبنيٌّ على الوصل إلّا الأحرف المقطّعة فهي مبنيّةٌ على القطع، يعني: ألف، لام، ميم، صاد، تُقرأ مقطّعةً، لماذا؟ لنعلم جميعاً أنّنا عندما نقرأ القرآن الكريم فإنّنا نتحدّث مع الله سبحانه وتعالى ونسمع منه جلّ جلاله، فهذا الكتاب ليس كأيّ كتابٍ آخر، فهناك مجموعةٌ من الشّروط لا بدّ أن تتوفّر في الشّخص الّذي يريد قراءة القرآن الكريم، وهي أن يكون طاهراً، ومتوضّئاً، وساتراً للعورة... ولا بدّ من التّحضير للقاء كلام الله سبحانه وتعالى؛ لأنّ كلامه سبحانه وتعالى هو صفةٌ من صفاته سبحانه وتعالى، والقرآن الكريم هو كتاب هدايةٍ للبشريّة، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤﴾ [الشّعراء]، مع أنّه قال له: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، إذاً: (نزل به الرّوح الأمين على أذنك)، لكنّه قال: ﴿عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾؛ لأنّه يباشر القلب، فإذا أردت أن يباشر القرآن الكريم قلبك فعليك أن تقرأه وكأنّك تسمعه من الله سبحانه وتعالى مباشرةً، فأنت تقرأ القرآن بسرّ الله سبحانه وتعالى فيه، وليس فقط بفهمك بمراداته عزّ وجلّ، فعليك أن تجمع الأمرين؛ لأنّ هناك آياتٍ متشابهاتٍ، وهناك آياتٌ محكماتٌ هنّ أمّ الكتاب، فلا تقل: لماذا وجدت هذه الآيات المتشابهات ما دمت لا أفهم معناها؟ إذا لم تفهم معناها فإنّك تستفيد من مضمونها، من قراءتها، كأنّ الله سبحانه وتعالى يقول لنا: اقرؤوا القرآن الكريم بسرّ الله سبحانه وتعالى فيه، هذه مفاتيح للقلوب، وقد بذل العلماء جهداً كبيراً من أجل تفسير الأحرف المقطعة، وكلّ ما قالوه صحيحٌ، لكن ليس هو الحقيقة كلّها، بعضهم قال: هذه الأحرف هي الأحرف الّتي صِيغَ منها القرآن الكريم، وهي إعجازٌ لأهل

البلاغة، ومنهم من قال: إنّها للتّنبيه، ومنهم من قال: إنّها أسماء للسّور، ومنهم...، كلّ هذا صحيحٌ، لكن الحقيقة أنّها سرٌّ من أسرار الله ﷻ، عندما تقرأ القرآن فإنّك تحتاج تصفيّة القلب والوجدان والرّوح؛ لأنّ القرآن الكريم روحٌ نزل به الرّوح الأمين على قلب سيّد المرسلين ﷺ، وبما أنّه روحٌ فهو يعالج الأرواح كما يعالج العقول بالآيات، فإذا وردت بداية بعض السّور فيها أحرفٌ مقطّعةٌ فهذه الأحرف فيها سرُّ الله ﷻ، هكذا قال العلماء، ومثالٌ على ذلك أنّ بعض البشر يتعارفون على كلمة سرٍّ لا يكون لها معنىً في اللّغة، مثلاً: (سع) أو (عس)، ويُراد منها: افتح الباب، فسرّها لا يعرفه إلّا من وضعه، تُستخدم هذه الأسرار ولا يوجد شرطٌ لأن يكون لها معنىً لغويٌّ واضحٌ، وإنّما تُستخدم كأسرارٍ، لنقل: بأنّ الأحرف المقطّعة هي أسرارٌ، هناك سورٌ بدأت بحرفٍ واحدٍ من الأحرف المقطّعة مثل: ﴿قٓ﴾، ﴿نٓ﴾، أو بحرفين مثل: ﴿حمٓ﴾، أو ثلاثة أحرف مثل: ﴿الٓر﴾، ﴿الٓمٓ﴾، أو أربعة أحرف مثل: ﴿الٓمٓصٓ﴾، أو خمسة أحرف، مثل: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، جمع العلماء هذه الأحرف فتكوّنت جملة: (نصُّ حكيمٍ له سرٌّ قاطعٌ).

وقد اختيرت هذه الحروف من الأبجديّة بترتيبٍ مذهلٍ، فلو أخذنا الحروف التّسعة الأولى من الأبجديّة لوجدنا أنّه اختار منها اثنين: (ألف، حاء)، ولو أخذنا الحروف العشرة التّالية، لوجدنا أنّه أخذ حرفاً وترك حرفاً بحسب تسلسلها، وقد أُخذت الحروف غير المنقوطة: (ر، س، ص، ط،

ع)، وتُركت الحروف المنقوطة: (ز، ش، ض، ظ، غ)، وفي المجموعة الثّالثة أُخذت سبعة أحرف وتُرِك حرفان، أُخذ: (ق، ك، ل، م، ن، هـ، ي)، وتُرك: (ف، و)، فهل كان الاختيار عشوائيّاً، أو أُخذت الحروف بشكلٍ اعتباطيّ؟ الجواب: بالتّأكيد لا.. أوّل تسعة أحرفٍ أُخذ منها اثنان وتُرك سبعةٌ، وآخر تسعة أحرفٍ أُخذ منها سبعةٌ وتُرك اثنان، والعشرة في المنتصف أُخذت منها الحروف غير المنقّطة، وتُركت الحروف المنقّطة، فهي ليست قضيّةً حسابيّةً ولا رقميّةً ولا هندسيّةً، وإنّما هي قضيّة لغةٍ عربيّةٍ، وسرٌّ من أسرار: (نصٌّ حكيمٍ له سرٌّ قاطعٌ).

(الآية ٢) – ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢﴾:

القرآن الكريم سمّي كتاباً؛ لأنّه سُجّل بين السّطور، وسمّي قرآناً؛ لأنّه قُرئ فلا يستطيع إنسانٌ أن يأخذ القرآن الكريم من الكتاب دون أن يسمعه بالتّلقين، نبيّنا ﷺ كان أمّيّاً، فعندما قال له جبريل عليه السلام: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، [العلق: من الآية ١]، أجاب: «**ما أنا بقارئ**»، وأعاد عليه سيّدنا جبريل عليه السلام القولَ ثلاثاً ورسول الله ﷺ يقول: «**ما أنا بقارئ**»[1]؛ لأنّه يفترض أن يكون أمام القارئ كتابٌ يقرأ منه، أو أنّه يحفظ شيئاً فيتلوه، ولكن بعد أن سمع من جبريل عليه السلام قرأ.

(١) صحيح البخاريّ: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدءُ الوحي إلى رسول الله ﷺ، الحديث رقم (٣).

في بداية سورة (البقرة) نجد قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (ألف لام ميم)، وفي نهاية القرآن الكرم نجد قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١﴾ [الفيل]، ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشّرح]، النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع من جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّ هذه تقرأ: ألف لام ميم، وهذه تُقرأ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾، وهناك أسانيد وحفظةٌ لكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، كلّ ذلك أساسه السّمع من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿كِتَابٌ﴾: سُطّر وكُتب بعد أن قُرئ وحُفظ في الصّدور.

﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: لو أنّ إنساناً هو الّذي يتكلّم لقال: (كتابٌ أنزل عليك)، وليس: ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، ولكن ما فيه إليك؛ لأنّه يخرجك ويخرج النّاس من الظّلمات إلى النّور.

﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾: حرجٌ: ضيقٌ، فهل هناك حرجٌ في صدر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من نزول القرآن الكريم؟ أو العكس؟ يجب أن نتعامل مع القرآن الكريم على أنّه كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وبأنّه صفةٌ من صفاته جَلَّ جَلَالُهُ، فعندما يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لنبيّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾، الأمر هنا للضّيق، أي الحرج، ألّا يدخل صدر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا أمرٌ من الخالق، فلن يدخل الحرج صدر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لماذا؟ الجواب: لأنّ النّاس أَلِفُوا عبادة الأوثان والأصنام والشّهوات، ولكي تخرجهم ممّا ألفوه إلى رحاب الاستقامة والصّراط المستقيم فلا بدّ أن تتحمّل كثيراً من أذيّتهم، وطريق الأنبياء مملوءٌ بالأشواك، لذلك قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا

﴿يَقُولُونَ ٩٧ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٩٨﴾ [الحجر]، وجاء الأمر ألّا يدخل الضّيق صدر رسول الله ﷺ، لكن عندما يدخل الضّيق إلى صدره يدخل ضيقاً وحزناً على قومه، «**اللّهمّ اهد قومي فإنّهم لا يعلمون**»[1]، ولو شاء رسول الله ﷺ أن يدعو على قومه لفعل ذلك، والرّسول ﷺ إذا حزن أو دخل الضّيق صدره لا يكون كالضّيق الّذي يدخل صدورنا، وإنّما الضّيق من رحمته ورأفته بالنّاس، فهو يتمنّى أن يهدي النّاس جميعاً من غير استثناء.

﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾: الإنذار يكون بالقرآن الكريم لا بالقتل والإرهاب والتّطرّف والقسوة والعنف، فالله سبحانه وتعالى لا يريد قوالب، وإنّما يريد قلوباً، ولو أراد قوالب لآمن من في الأرض كلّهم جميعاً، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ٩٩﴾ [يونس].

أمرنا الله سبحانه وتعالى بالكلمة الطّيّبة، لذلك قال جل جلاله: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ٣٤﴾ [فصّلت]، قد يقول أحدهم: دفعت بالّتي هي أحسن ولكنّ العداوة ازدادت، والسبب في ذلك؛ لأنّك عندما دفعت بالّتي هي أحسن لم تنظر إلى أمر الله سبحانه وتعالى وإنّما أردت أن يكون وليّاً حميماً، ولكن إذا امتثلت لأمر الله سبحانه وتعالى فستتحوّل العداوة إلى ولايةٍ.

﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: كيف يكون ذكرى للمؤمنين؟ المؤمنون

(١) جامع الأحاديث: حرف الهمزة، الحديث رقم (٧٠١٥).

الأوائل بماذا يذكّرهم؟ المؤمنون الّذين بعدهم يكون ذكرى وذكراً لهم، ولكن للمؤمنين الأوائل كيف تكون الذّكرى؟ من رحمة الله سبحانه وتعالى أنّه أرسل الرّسل وأنزل الكتب معهم لينذر النّاس، قال سبحانه وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [الأنعام]، فالله سبحانه وتعالى أرسل الرّسل مع أنّه جعل الإيمان مركوزاً في فطرة الإنسان، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف]، نحن آمنّا في عالم الذّرّ، فهذه ذكرى للمؤمنين.

(الآية ٣) – ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾:

القضيّة هي قضيّة اقتداءٍ واتّباعٍ للنّبيّ صلى الله عليه وسلم، قال سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب]، لماذا لم يقل سبحانه وتعالى: (لقد كان لكم برسول الله أسوةٌ حسنةٌ)؟ الجواب؛ لأنّ الباء للتّبعيض، والله سبحانه وتعالى أراد منّا أن نأخذ كلّ شيءٍ عن رسولنا صلى الله عليه وسلم، فقال: ﴿فِي﴾، فلنا في أخلاقه أسوةٌ حسنةٌ، وفي كلماته أسوةٌ حسنةٌ، وفي سلوكيّاته أسوةٌ حسنةٌ، وفي علاقته مع أزواجه أسوةٌ حسنةٌ، وفي علاقته مع أصحابه أسوةٌ حسنةٌ، وفي كلّ أمرٍ من أموره صلى الله عليه وسلم هو أسوةٌ حسنةٌ، قال سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، فلا يقولنّ قائل: إنّ الرّسول صلى الله عليه وسلم كان في القرن السّابع الميلاديّ ولا يمكن اتّباعه في قرننا هذا..،

لا، لذلك قال سبحانه وتعالى هنا: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾، أي اتّبعوا القرآن الكريم.

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ﴾: من البشر، وإنّما تأخذون من سيّد البشر عليه الصّلاة والسّلام.

﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾: وقال جلّ وعلا في موضعٍ آخر: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ [سبأ: من الآية ١٣]؛ لأنّ الإنسان الشّاكر هو ذاكرٌ، ولكنّ الله سبحانه وتعالى أنزل النّعم وجحد بها النّاس، لذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

(الآية ٤) – ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ٤﴾:

﴿وَكَم﴾: أي لا يوجد عددٌ ليعدّ، أي العدد كبيرٌ.

﴿مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا﴾: البأس: أي القوّة الشّديدة، يأتي البأس أوّلاً ثمّ تُهلك القرية، كيف ذلك؟ لأنّه كلام ربٍّ، وليس كلام بشرٍ، فالإهلاك قد صدر بالأمر من الله سبحانه وتعالى أزلاً قبل أن تأتي القوّة الّتي ستُهلك، فالإهلاك عند الله سبحانه وتعالى يكون أوّلاً، ويأتي البأس بعد صدور الأمر من الله سبحانه وتعالى.

﴿بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾: أي في وقت الرّاحة إمّا ليلاً عندما يكونون نياماً ﴿بَيَٰتًا﴾، أو وقت القيلولة: ﴿أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾.

(الآية ٥) – ﴿فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٥﴾:

اعترفوا عندما جاءت القوّة القاهرة من الله ﷻ لإهلاك تلك القرى والأقوام الّذين عتوا عن أمر ربّهم ورفضوا دعوة رسلهم.

اعترفوا بأنّهم ظلموا أنفسهم قبل أن يظلموا غيرهم؛ لأنّ ظلم النّفس هو أشدّ أنواع الظّلم، فأنت تحرم النّفس النّعيم الدّائم مقابل متعةٍ زائلةٍ مؤقتةٍ كمتعة الحياة الدّنيا، كما يقول المولى ﷻ: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران: من الآية ١٨٥].

(الآية ٦) – ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦﴾:

هو سؤال يوم الحساب، والسّؤال يوم الحساب سؤال إقرارٍ وحجّةٍ على النّاس، والحجّة من الرّسل بأنّهم بلّغوا رسالة ربّهم، لذلك قال الرّسول ﷺ يوم حجّة الوداع: «وأنتم تُسألون عنّي فما أنتم قائلون؟»، قالوا: نشهد أنّك قد بلّغتَ وأدّيتَ ونصحتَ، فقال بإصبعه السّبابة يرفعها إلى السّماء وينكتها إلى النّاس: «اللّهمّ اشهد، اللّهمّ اشهد»، ثلاث مرات[1]، فإذاً هذا السّؤال سيُسأل عنه النّاس يوم القيامة، وسيُسأل الرّسل بأنّهم بلّغوا هؤلاء الأقوام، وعقليّاً عندما يأتي الإنسان إلى هذه الدّنيا فإنّه بحاجةٍ إلى معرفة مَن الّذي أوجده، ومَن الّذي خلق السّماوات والأرض؟ والله ﷻ جعل في فطرته ميلاً للإيمان، كما قال ﷺ: «ما من مولودٍ إلّا يولَد على الفطرة»[2]،

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الحجّ، باب حجّة النّبيّ ﷺ، الحديث رقم (١٢١٨).

(٢) صحيح البخاريّ: كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصّبيّ فمات هل يُصلّى عليه؟ وهل يُعرض على الصّبيّ الإسلام؟ الحديث رقم (١٢٩٢).

لذلك في الوثائق وكتب التّاريخ الّتي وردت إلينا لا نجد قوماً من الأقوام عبر العصور كلّها إلّا ولهم أديان، إمّا عبادة أصنامٍ، أو عبادة نيرانٍ، أو عبادة أشخاصٍ.. لم يخل زمنٌ من وجود دينٍ معيّنٍ، هذا ليس معناه إلّا شيئاً واحداً، أنّ النّاس بفطرتها تميل إلى التّديّن، وتميل إلى الاعتقاد بوجود قوّةٍ خالقةٍ خارقةٍ، فهناك من آمن بالرّسل عليهم السلام وهناك من انحرف عن دعوتهم وعبد الأصنام وغير ذلك.

(الآية ٧) – ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ٧﴾:

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ﴾: في ذلك اليوم سيخبر الله سبحانه وتعالى بعلمه عن كلّ ما حدث للإنسان في هذه الدّنيا.

﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾: الله سبحانه وتعالى موجودٌ في كلّ مكانٍ وفي كلّ زمانٍ، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ [الحديد: من الآية ٤]، سبحانه ليس كمثله شيءٌ لا في صفاته ولا في أفعاله ولا في ذاته العليّة.

(الآية ٨) – ﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨﴾:

﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ﴾: الموازين في ذلك اليوم هي العدل، هي ليست موازين عادلةٌ، بل هي العدل بذاته، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾ [الأنبياء]، وهذا هو قمّة العدل، والوزن يكون للأعمال، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة].

﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: أي رجحت كفّة حسناته.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾: كلمة الفلاح أي الفوز، ومنها كلمة الفلّاح الّذي يفلح الأرض ليحصل على النّتيجة ويفوز بالمحاصيل.

(الآية ٩) – ﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ٩﴾:

أي نقصت حسناته وزادت سيئاته فأولئك الّذين خسروا أنفسهم؛ لأنّهم قدّموا الشّهوات العاجلة على النّعيم المقيم.

﴿بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ﴾: أي يظلمون أنفسهم بعدم الأخذ والسّير على نهج الله سبحانه وتعالى.

(الآية ١٠) – ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ١٠﴾:

﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: مكّن: جعل لنا أسباب استبقاء الحياة.

﴿وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ﴾: أي أنّ الله سبحانه وتعالى جعل للنّاس كلّ ما يحتاجون إليه في الكون، والإنسان طارئٌ على الكون، فالأرض والهواء والماء والسّماء والأمطار والغيوم والزّرع.. كلّ ذلك كان موجوداً قبل الإنسان، وعندما جاء وجد كلّ شيءٍ معدّاً له ومهيّأً من قِبل مولاه عزّ وجلّ، ولكنّه كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ [سبأ: من الآية ١٣].

(الآية ١١) – ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ١١﴾:

هنا يتحدّث المولى سبحانه وتعالى عن السّؤال الدّائم للبشر عن خلق الإنسان، قال سبحانه وتعالى: ﴿۞مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا٥١﴾ [الكهف]، الله سبحانه وتعالى لم يشهدنا موضوع خلق الإنسان، فهو أمرٌ غيبيٌّ، وهو سؤالٌ حيّر النّاس، فجاءت الإجابة من الله سبحانه وتعالى بمسألة الخلق في سورٍ متعدّدةٍ لأهميّة هذا السّؤال بالنّسبة للإنسان، فتحدّث عن مراحل خلقه في سورة (البقرة)، و(الأعراف)، و(الحِجر)، و(الإسراء)، و(الكهف)، و(طه)، و(ص)، أوّل هذه السّور هي سورة (البقرة)، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ٣٠﴾ [البقرة]، من هنا بدأ الحديث عن خلق آدم عليه السلام، إذاً خَلْقُ الإنسان الّذي تسأل عنه هو خَلْقُ آدم عليه السلام؛ لأنّ البشر كلّهم كانوا مطمورين في آدم، وبعد آدم جاء أبناء آدم، ومن أبناء آدم جاء أبناء أبناء آدم،.. وهكذا، فالبشريّة الآن تقريباً ستّة مليارات ونصف، وإذا عدنا قرناً إلى الوراء فالعدد سيكون أقلّ، ولو عدنا زمنيّاً بشكلٍ عكسيٍّ فسنصل إلى فردٍ واحدٍ هو آدم عليه السلام، إذاً خَلْقُ آدم أمرٌ غيبيٌّ لا يمكن استقراؤه علميّاً ولا يمكن أن تراه.

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ﴾: تحدّث المولى سبحانه وتعالى بعدّة آياتٍ عن كيفيّة الخلق، مرّةً يقول جلّ جلاله: عن خلق الإنسان أنّه من صلصالٍ من حمأٍ مسنون، ومرّةً أخرى يقول: من ماءٍ، ومرّةً أخرى يقول: من ترابٍ، لكنّنا لم نُخلَق من التّراب، فالّذي خُلق من التّراب هو أبونا آدم عليه السلام، فهذه المراحل

المتعدّدة هي مراحل خلق آدم فإذا جُمعت فإنّها تُعطي كيف سوّي آدم، ترابٌ مع ماءٍ يعطي طيناً، والطّين إذا جفّ يصبح صلصالاً، فإذا تُرك فترةً من الزّمن يُصبح حمأً مسنوناً، هذه هي المراحل الّتي مرّت فيها تسوية آدم، فإذا قلنا: إنّ الإنسان خُلِق من ماءٍ ومن ترابٍ ومن طينٍ ومن صلصالٍ ومن حمأٍ مسنونٍ، فكلّ ذلك صحيحٌ.

﴿صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾: اختلف العلماء كيف وُجِد إبليس مع الملائكة؟ وهو حتماً من جنس الجنّ، لقوله ﷻ: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ٥٠﴾ [الكهف]، والجنّ عالمٌ خلقه الله ﷻ، وليس كلّ ما لا ندركه بحواسّنا غير موجودٍ، بدليل أنّ البكتريا والجراثيم لا ندركها بالحواسّ وهي موجودةٌ، وكذلك الجنّ موجودٌ مع أنّنا لا نراه.

﴿ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾: السّجود لآدم هو السّجود لأمر ربّ آدم، هو طاعةٌ لأمر الآمر، وهو الله ﷻ، من قِبَل الملائكة.

كيف كان إبليس موجوداً مع الملائكة؟ الجواب: بما أنّ إبليس من الجنّ فله حقّ الاختيار، فإمّا أن يكون طائعاً وإمّا أن يكون عاصياً، وقد كان إبليس طائعاً، ومن شدّة طاعته كان في صفّ الملائكة، وليس كلّ الملائكة؛ لأنّ من الملائكة من له وظيفةٌ مع بني آدم، وهناك ملائكةٌ من العالين وهم الّذين لا علاقة لهم بآدم، وأمر السّجود لآدم هنا إنّما جاء فقط

لمجموعةٍ من الملائكة وكان إبليس معهم؛ لأنّه كان طائعاً.

﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: إبليس لم يسجد، فالجنّ كالإنس لهم حقّ الطّاعة أو عدم الطّاعة، ولهم حقّ الاختيار في العبادة أو في عدم العبادة، أمّا الملائكة فلا يعصون الله سبحانه وتعالى ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وهذا أكبر دليلٍ على أنّه لم يكن من الملائكة؛ لأنّه لو كان من الملائكة لسجد مع الملائكة.

(الآية ١٢) - ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢﴾:

المولى سبحانه وتعالى قال لإبليس لعنه الله: ما الّذي حجزك أن تسجد لصنعتي لآدم إذ أمرتك؟ قال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾، والطّين هو ترابٌ مع ماءٍ، إذاً تكبّر وردّ الحكم على الله سبحانه وتعالى، واعتبر أنّ الخلق من نارٍ أفضل من الخلق من طينٍ، فكان الجواب من الله سبحانه وتعالى:

(الآية ١٣) - ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣﴾:

﴿فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾: طُرِد إبليس من رحمة الله سبحانه وتعالى ولُعِن؛ لأنّه ردّ الحكم على الله سبحانه وتعالى، وردّ الأمر على الآمر سبحانه وتعالى.

(الآية ١٤) - ﴿قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤﴾:

﴿قَالَ أَنظِرۡنِيٓ﴾: أمهلني.

(الآية ١٥) - ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ١٥﴾:

﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾: أي من الممهلين إلى يوم البعث، فبعد هذا الخروج والهبوط بصغارٍ وذمٍّ من الله ﷻ وذلٍّ ولعنٍ طلب الإمهال فأجابه الله جلّ وعلا إلى ذلك.

(الآية ١٦) – ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ١٦﴾:

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾: قد يتبادر إلى الذّهن السّؤال الآتي: هل المولى يغوي؟ والجواب: بالتّأكيد لا، فالإغواء هو إغراءٌ بالمعصية، والله ﷻ لا يغوي، ولكن لماذا استخدم إبليس –لعنه الله– هذه العبارة؟ الجواب: استخدم إبليس كلمة الإغواء تجاوزاً، أي أنّك يا ربّ جعلت لي خياراً بين أن أختار الطّاعة أو المعصية، ولأنّك جعلت لي خياراً فأنت الّذي أغويتني، كما يقول الإنسان الّذي يسرق أو يكذب أو يرتكب الجرائم ثمّ يقول: الله جلّ وعلا أغواني، لو أراد لم يضلّني، لكنّ الله ﷻ تركك تختار، ويجب أن تعلم أنّ لله ﷻ مراداً شرعيّاً، وله أمرٌ كونيٌّ، الأمر الكونيّ لا تستطيع أن تتخلّف عنه، أما المراد الشّرعيّ فيمكنك أن تطبقه أو لا تطبّقه، فكيف تقول: أنت أغويتني يا ربّ؛ لأنّك جعلتني أستطيع ألّا أصوم؟! مراد الله ﷻ الشّرعيّ هو أن تصوم، ولكن لك الخيار في أن توجّه ما أعطاك الله ﷻ إيّاه في هذا الاتّجاه أو ذاك الاتّجاه، وستُحاسَب على اختيارك، وهنا إبليس استخدم هذه الجملة: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾، أي بما تركت لي من خيار غوايةٍ، فهل قال بعدها: لأقعدنّ لهم صراطك المعوجّ؟ الجواب: لا؛ لأنّ الصّراط المعوجّ لا داعي لأن يجلس عليه إبليس، فهو يقعد على الصّراط المستقيم،

حيث يجد أناساً متديّنين يسيرون عليه ليوسوس لهم ويغويهم.

(الآية ١٧) – ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾:

﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾: أي من أمامهم، آتي وأمنعهم من النّظر إلى الحقيقة الّتي تكون أمامهم، فنحن نسير في هذه الحياة الدّنيا حتّى نصل إلى نقطةٍ واحدةٍ هي الموت وهو النّهاية.

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾، أي أشكّكهم بأنّهم سيبعثون، أشكّكهم بأنّه سبحانه وتعالى: ﴿يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨﴾ [يس: من الآية ٧٨]، سأشكّكهم بأنّ هناك حساباً، وبأنّ هناك جنّةً وناراً.

﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾: يترك الإنسان من خلفه الذّريّة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا ٩﴾ [النّساء]، يجعله يسرق ويرتشي خوفاً على ذريّته لكي يترك لها الأموال، إذاً يأتيه من أمامه فيقول له: لا يوجد جنّةٌ ولا نارٌ ولا حسابٌ، ويأتي من خلفه من خلال الإغواء بالنّسبة للذّريّة.

والجهة الثّالثة: ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾: اليمين دائماً يشير إلى الزّهد، يجعله يزهد في العمل بالدّنيا، والله سبحانه وتعالى لا يرضى إلّا أن يكون المسلم هو عنوان العمل والعلم والعطاء.

﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾: أغريه بالمعاصي، هذه جهاتٌ أربعٌ، واستثنى جهتين: الجهة الأولى: من فوقهم، وهي الّتي يصعد منها العمل والدّعاء، والجهة

الثّانية: من تحتهم الّتي هي موضع السّجود، فإبليس لا يأتي من جهة السّجود ولا من جهة العلوّ.

﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾: لماذا؟ الجواب؛ لأنّ الإنسان بما وُجد فيه من أهواءٍ تسيّره إلى شهوته لن يكون شاكراً لله ﷻ، فالعاصي هو جاحدٌ، والطّائع هو شاكرٌ، ومعظم النّاس يسيرون في طريق الغواية، وقليلٌ هم الّذين يسيرون في طاعة الله ﷻ، كما قال ﷻ: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ [سبأ: من الآية ١٣].

(الآية ١٨) – ﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٨﴾:

﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ﴾: ذمٌّ ولعنٌ وطردٌ من رحمة الله ﷻ، حُكِم على إبليس، والقانون الإلهيّ أنّه من اتّبع إبليس فمأواه جهنّم وبئس المصير.

هذه إحدى اللّقطات الأولى لخلق الإنسان الأوّل آدم عليه السلام، صوّرتها لنا هذه السّورة.

(الآية ١٩) – ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾:

﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ﴾: الخطاب الآن لآدم عليه السلام بعد أن كان الخطاب مع إبليس –لعنه الله–.

﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾: آدم وحواء خُلقا للأرض، والتّصورات الّتي تأتي من كتب الإسرائيليّات أنّهما خُلقا ليعيشا في الجنّة غير صحيحةٍ، نحن

نأخذ من كتاب الله سبحانه وتعالى ومن سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط، ولا نعتمد على الإسرائيليّات أو القصص الخياليّة الّتي وردت حول قصّة آدم وحواء وأكل التّفاحة، وأنّ المعصية تتحمّل مسؤوليتها حوّاء، فهذا الكلام كلّه غير صحيحٍ، والصّحيح ما قاله الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾.

والجنّة لا يوجد فيها أوامر ولا نواهٍ، فهي ثوابٌ للإنسان على عمله، وجنّات الخلد الّتي وصفها الله سبحانه وتعالى لا يدخلها الإنسان إلّا بالخلود، ولكن كيف دخل إبليس إلى الجنّة؟ كما قلنا: بأنّ الله سبحانه وتعالى نصّ بشكلٍ صريحٍ على أنّ: ﴿إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾ [الكهف: من الآية ٥٠]، وكيف خرج آدم وحواء من الجنّة؟ نبحث أوّلاً عن تفسير كلمة الجنّة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾، عندما تطلق كلمة جنّةٍ نتصوّر جنّات الخلد الّتي أعدّها الله سبحانه وتعالى للمؤمنين وللطّائعين، الله سبحانه وتعالى سمّاها جنّةً، فأصبحنا عندما نقول: كلمة الجنّة، يذهب الذّهن إلى الجنّة الّتي هي جنّة الخلد في الآخرة، لكن إذا مرّت بنا قرينةٌ تدلّ على أنّ المقصود هو المعنى اللّغويّ، أي السّتر، فنقول: بأنّ هذه ليست جنّات الخلد، قال سبحانه وتعالى: ﴿۞وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ٣٣﴾ [الكهف]، فهنا جاءت كلمة جنّة: بمعنى بساتين وأشجار وليس معناها جنّة الخلد، ففُهم معنى الجنّة على أساس المعنى اللّغويّ، كذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ

﴿مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢٦٦﴾ [البقرة]، ليس معناها جنّة الخلد، بل البستان، وكذلك قوله ﷻ: ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ١٥﴾ [سبأ]، أيضاً المقصود بها بساتين، فإذاً ما المقصود هنا عندما قال ﷻ: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾، هل المقصود بأنّها جنّة الخلد؟ سنعود إلى أمرٍ مهمٍّ وهو أنّ الله ﷻ في أوّل سورة (البقرة) قال: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [البقرة]، فقد خلق آدم ليكون خليفةً في الأرض، فما علاقة المعصية بالنّزول؟ وكيف يكون آدم عليه السلام في الجنّة وهو مخلوقٌ للأرض؟ هذه قرينةٌ تدلّ على أنّ هذه الجنّة هي جنّة تجربةٍ، وليست جنّة الخلد، حتّى يدرّب الله ﷻ آدم وحوّاء على تجربة الإيمان، وعلى تجربة الأوامر والنّواهي، وعلى طبيعة الحياة الدّنيا الّتي خُلق آدم وحواء من أجلها ليكونا خليفة الله ﷻ في الأرض، إذاً حُلّ الإشكال، فبما أنّها جنّة تجربةٍ ووجد فيها آدم وحواء ومعهما إبليس، فلا تقل: كيف هي جنّة الخلد؟ وكيف يخرج من جنّة الخلد؟ وكيف وُجد إبليس داخل جنّة الخلد؟ هي ليست جنّة الخلد، هي جنّة التّجربة بالدّليل، وقد دلّلنا بثلاث آياتٍ وردت في القرآن الكريم على أنّ ليس كلّ موضعٍ يرد فيه ذكر الجنّة يراد به جنّة الخلد، وإنّما

قد يُراد بها البستان، أو جنّة التّجربة، أي بستانٌ للتّجربة كما وردت هنا.

﴿فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾: كُلا: فعل أمر، ﴿مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾، المباح كثيرٌ، وهذه تجربةٌ من أجل الدّنيا، فالأصل في الأشياء الإباحة، إلّا ما ورد فيه نصّ تحريمٍ، ويكون قليلاً، فمثلاً: الأطعمة كلّها حلالٌ إلّا لحم الخنزير حرامٌ، ولذلك هذه الجنّة جنّة تدريبٍ، أي كانا في بستان ولم يخبرنا الله سُبحانه وتعالى عن مكانه في السّماء أم على الأرض، وليس من مهمّتنا أن نعرف ولكنّ المهمّ ما أرادنا الله سُبحانه وتعالى أن نعرفه عن قصّة آدم وحوّاء.

﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: لاحظوا كلمة الحرام والنّهي لم تَرِد هنا، فلم تأت: (حرّم عليكم هذه الشّجرة فتكونا من الظّالمين)، بل قال: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا﴾، يذهب الذّهن مباشرةً إلى قوله سُبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: من الآية ١٥١]، وقوله جلّ جلاله: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠﴾ [الحجّ: من الآية ٣٠]، وقوله سُبحانه وتعالى عن الخمر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٩٠﴾ [المائدة]، أي لا تقربوه، فعدم الاقتراب من الشّيء هو أشدّ من تحريمه؛ لأنّ عدم الاقتراب معناه ألّا تقع في دائرة الحرام، فإذا قلت لك: بأنّه يحرّم عليك أن تشرب من هذه الكأس المملوءة ماءً، فتستطيع أن تمسكها بيدك ولا تكون قد ارتكبت الحرام، أمّا إذا قلت لك: اجتنب كأس الماء، فإنّك لن تستطيع أن تجلس إلى جوارها، ولا أن تمسكها بيدك، هذا هو الفارق، لذلك قال سُبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، أي لا تقتربا من حماها وليس فقط أن تقطفا من ثمارها، فهي إذاً جنّة تدريبٍ.

(الآية ٢٠) – ﴿فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ٢٠﴾:

﴿فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: الوسواس: هو صوت الحليّ، أي الصّوت الّذي يغري بهمسٍ؛ لأنّ الحلال والتّصرّف الصّحيح لا يحتاج إلى همسٍ، بينما الوسوسة همسٌ مثل وسوسة الذّهب.

﴿لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا﴾: سوءة: أي عورة الإنسان، فهل وسوس الشّيطان لهما من أجل ذلك؟ الجواب: هو وسوس من أجل الإغواء والمعصية فقط؛ لأنّه أخذ على نفسه هذا العهد عندما قال: ﴿أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤﴾ [الأعراف: من الآية ١٤]، واللّام في قوله ﷻ: ﴿لِيُبۡدِيَ﴾، هي لام المآل وليست لام التّعليل، أي أنّه وسوس لهما فكانت نتيجة هذه الوسوسة أن بدت سوءاتهما، كلّ هذا في جنّة التّدريب وسوس لهما الشّيطان فكانت النّتيجة: ﴿فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١﴾ [طه]، دخل على آدم وحواء من مدخلين، وهذان المدخلان موجودان إلى الآن في الدّنيا، وهما أساس المعاصي كلّها: ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ﴾: النّاس كلّهم يبحثون عن الخلد ويتمنّون عدم الموت ويبحثون عن الملك، مُلك المال والمناصب، فقال لهما: إذا أكلتما من هذه الشّجرة فستصبحان

ملكين أو تصبحان من الخالدين، فكانت الوسوسة والإغراء بالمعصية بهاتين الطّريقتين، لتعلم أنّها كانت جنّة تدريب.

(الآية ٢١) – ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١﴾:

﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾: أي أقسم أمامهما بأنّه ينصحهما، فكيف دخل عليهما؟ لم يتوقّع آدم وحوّاء أبداً بأن يقسم إبليس بالله سبحانه وتعالى كاذباً، والقصص السّابقة كلّها الّتي تُظهر أنّ حواء هي الّتي أغرت، وهي الّتي أكلت غير صحيحةٍ، فالقصّة كما أوردها القرآن الكريم تتحدّث عن آدم وحوّاء سويّةً في كلّ حركةٍ وفي كلّ خطوةٍ.

(الآية ٢٢) – ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٢﴾:

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾: أي أنزلهم بهذا الغرور الّذي غرّهم به بموضوع المُلك والخلود، دلّاهما أي غرّهما بهذه المعصية.

﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾: أي أنّهما لم يأكلا بعد، بل ذاقا الشّجرة، وقال: ﴿ذَاقَا﴾ أي ليست حوّاء فقط، بل آدم وحواء معاً.

﴿وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِ﴾: ﴿وَطَفِقَا﴾: طفِق يفعل كذا: شَرَعَ وابْتَدَأَ، وهو من أفعال الشّروع.

﴿يَخۡصِفَانِ﴾: من الخَصْفِ: وهو الضّمّ والجمع، أي أخذا يلصقان عليهما من ورق الجنّة.

﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾: خالفتم أمرين، الأمر الأوّل قلت لكم: لا تقربا هذه الشّجرة، فاقتربتما منها، وهذه أوّل معصيّةٍ، والمعصية الثّانية: ألم أقل وأبيّن لكما بأنّ الشيطان هو عدوٌّ لكما؟! فكيف تقبلان بقَسَمِهِ، وبأنّه ناصحٌ لكما؟! وهذا أوّل نداءٍ من الله سُبحانه وتعالى.

(الآية ٢٣) – ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾:

اعترفا بذنبهما فدخلا باب التّوبة، وكأنّه تدريبٌ على أنّه يوجد أوامر ونواهٍ وحلالٌ وحرامٌ وخطأٌ وصوابٌ، وباب التّوبة مفتوحٌ، فمن أراد أن يتوب ويعود ويصلح فكأنّه لا ذنب له.

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا﴾: اعترفا أنّهما ظلما أنفسهما كليهما.

﴿وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا﴾: تغفر لنا ما أخطأنا وما أذنبنا.

﴿وَتَرۡحَمۡنَا﴾: ينجو الإنسان برحمة الله سُبحانه وتعالى وليس فقط بمغفرة الذّنوب.

﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾: اعترف آدم وحوّاء مباشرةً بالمعصية، واعترفا بالذّنب وتابا منه، فالله سُبحانه وتعالى علّمهما الحلال وعلّمهما الحرام وعلّمهما التّوبة.

ما هو الفارق بين معصية إبليس وبين معصية آدم وحوّاء؟ ولماذا قَبِل الله سُبحانه وتعالى من آدم وحواء وفتح لهما باب التّوبة ولم يقبل من إبليس ولم يفتح له

باب التّوبة؟ الجواب: لأنّ إبليس لـمّا عصى أبى واستكبر على الله ﷻ قائلاً: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦﴾ [ص: من الآية ٧٦]، قارن بينه وبين آدم، وردّ الحكم على الله ﷻ، أمّا آدم وحوّاء فاعترفا بذنبهما وقالا مباشرةً: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا﴾، فأبواب التّوبة تفتح للمعترف بذنبه.

(الآية ٢٤) – ﴿قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٢٤﴾:

﴿قَالَ ٱهۡبِطُواْ﴾: وليس اهبطا، بينما بسورة (طه) قال: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ﴾ [طه: من الآية ١٢٣]، وهنا قال: ﴿ٱهۡبِطُواْ﴾، أي جماعة، وهم ثلاثةٌ: آدم وحوّاء وإبليس.

كما ذكرنا سابقاً بأنّ آدم خُلِق للأرض، قال ﷻ: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [البقرة]، في الأصل خُلق آدم للأرض، ولكنّ الله ﷻ أراد أن يزوّده بتجربةٍ، هذه التّجربة هي: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا﴾، أمرٌ ونهيٌ.

﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ﴾: هناك عداوةٌ ستكون من بني آدم لبعضهم؛ لأنّه قال: ﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ﴾، وعداوة إبليس سابقةٌ منذ جنّة التّدريب.

﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ﴾: هذا القانون الإلهيّ، لكم في الأرض مستقرٌّ ومتاعٌ إلى أجلٍ معلومٍ، هذه هي جنّة التّدريب، هذا ما دُرّب عليه آدم وحوّاء بأنّ في الدّنيا طريقاً صحيحاً وطريقاً خاطئاً، وصراطاً

مستقيماً وصراطاً معوجّاً، وهناك حقٌّ وباطلٌ، وحلالٌ وحرامٌ، وهناك خيارٌ للإنسان، والإنسان كما قال ﷺ: «**كلّ بني آدم خطّاء، وخير الخطّائين التّوّابون**»(1)، يفتح لهم باب التّوبة إذا اعترفوا بذنوبهم.

وقد وردت قصّة آدم مع إبليس في سورة (البقرة) وفي سورة (طه) وفي هذه السّورة (الأعراف).. وغيرها، وكلّ مشهدٍ من المشاهد يكمّل المشهد الآخر، بالنّتيجة يخرج الإنسان بالتّصوّر الصّحيح الّذي ورد في القرآن الكريم عن قصّة سيّدنا آدم عليه السلام وحوّاء مع إبليس -لعنه الله-، وما جرى لهما في جنّة التّدريب الّتي كانا فيها، فإبليس لم يكن في جنّة الخلد، وكذلك آدم وحوّاء؛ لأنّهما لم يُخلقا ليبقيا في الجنّة، إنّما خُلقا ليكونا خليفةً في الأرض، بينما جنّة الخلد هي مناط الثّواب للإنسان بعد هذه الحياة الدّنيا.

(الآية ٢٥) - ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ٢٥﴾:

بيّن الله سبحانه وتعالى بآياتٍ مقتضبةٍ رحلة الحياة لكلّ بني آدم، إذاً في الأرض: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ٢٥﴾، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾، وقال جل جلاله: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ٥٥﴾ [طه]، هذه هي حقيقة رحلة الحياة ما بين الولادة وما بين الموت، لذلك نرى عندما يتحدّث المولى سبحانه وتعالى عن الموت يقول: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ٢﴾ [تبارك]، إذاً الموت هو مخلوقٌ كما أنّ الحياة مخلوقةٌ،

(1) المستدرك على الصّحيحين: ج ٤، ص ٢٧٢، الحديث رقم (٧٦١٧).

وقدّم الموت على الحياة ليبيّن للإنسان بأنّ المرحلة الأساسيّة هي الّتي ستأتي بعد الموت، والإنسان ما بين القوسين، ما بين الولادة والوفاة هو في رحلة هذه الحياة، ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾: أي من تراب، ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾: أي سُيدفن الإنسان فيها، لذلك إكرام الميت دفنه أي إعادته إلى أمّه الّتي هي الأرض، فعودة الإنسان إلى التّراب هو أوّل المطلوب، وعند وداع الميّت وفي لحظات وضعه تحت التّراب يوقن أيُّ مودِّعٍ أنّ مصيره كهذا، وإن تغافل عن الرّؤية، وأنّه لن يتفلّت من هذا المصير أبداً، وأنّ الكبير كما الصّغير، والصّحيح كما السّقيم، والقويّ كما الضّعيف، والأمير كما المأمور جميعهم لهم المصير ذاته، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرّحمن]، هذا قانونٌ إلهيٌّ ما تخلّف عنه الأنبياء عليهم السلام ولا تخلّف عنه أحدٌ، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزّمر].

﴿وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾: في يوم البعث سنخرج منها.

(الآية ٢٦) - ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾:

﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾: الخطاب تحوّل لأولاد آدم، وكأنّ الله سبحانه وتعالى يريد أن يقول في كلّ خطابٍ لبني آدم: تذكّروا ماضي أبيكم الأصليّ، ماضيه بين طاعةٍ ومعصيةٍ وتوبةٍ.

﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ﴾: هل أنزل علينا اللّباس؟ الأصل أنّه أنزل المطر فأخرج النّبات، ومن النّبات تمّ نسج الملابس ليغطّي الإنسان

السّوءة، ولقد كان يتحدّث عن آدم وحوّاء عندما أكلا من الشّجرة، أي عندما قاما بالمعصية فبدت لهما سوءاتهما، وهنا يقول ﷻ: بأنّ الله ﷻ أنزل لبني آدم، وعندما يقول: (بني آدم)، أي لكلّ البشر.

﴿وَرِيشًا﴾: الرّيش كساء الطّير، وكانوا يضعونه على التّيجان، فهو دليلٌ على التّرف، وهو للمترفين زيادةٌ عمّا يغطّي السّوءة بالنّسبة لكم.

﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾: ما هذه المقارنة بين اللّباس المادّيّ لباس الجسد، وبين لباس القيم؟ فلباس التّقوى أي لباس القيم، هو ما يستر الخلل في الإنسان من ناحية القيم، السّوءة المتعلّقة بالإنسان ليست فقط السّوءة الجسديّة، فإن كان كذّاباً أو مرتشياً أو سارقاً أو زانياً أو آثماً أو عاصياً فهو يحتاج لباساً ليغطّي سوءة القيم، واللّباس الّذي أنزله ﷻ لذلك هو التّقوى، وهذا خيرٌ وأفضل من اللّباس العادي الّذي يغطّي الجسد؛ لأنّه يعطي الإنسان القيم الحقيقيّة الّتي أرادها الله ﷻ، والمنهج الإلهيّ هو منهج قيمٍ، لذلك قال رسول الله ﷺ: «**إنّما بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**»(١)، والقرآن الكريم دائماً يطالب بالدّفع بالّتي هي أحسن، يقول ﷻ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون]، لماذا؟ لأنّ الشّيطان هو العدوّ الّذي يوسوس.

---

(١) سنن البيهقيّ الكبرى: كتاب الشّهادات، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها التي من كان متخلّقاً بها كان من أهل المروءة، الحديث رقم (٢٠٥٧١).

﴿ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾: هذا من معجزات الله سبحانه وتعالى، وهذه المعجزات والآيات القرآنيّة أو الرّسائل السّماويّة جاءت لتذكير الإنسان، لذلك قال: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾، فالإيمان موجودٌ عند الإنسان بالفطرة، قال صلى الله عليه وسلم: «ما من مولودٍ إلّا يولَد على الفطرة»[1]، ولو تابعنا مسيرة الإنسان الأوّل الّذي هو آدم وحوّاء، حيث كانا في جنّة التّجربة، وكان المولى سبحانه وتعالى يخاطبهما -أي أنّ الإيمان سبق الكفر- وعندما هبطا كانا يعلمان بوجود إلهٍ خالقٍ، ولكن طرأ النّسيان على الإنسان، فجاءت الرّسل عليهم السلام بعد فترةٍ لتذكّره بالإيمان الأوّل، إيمان الأب والأمّ، إيمان آدم وحوّاء.

(الآية ٢٧) - ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧﴾:

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾: ما زال الخطاب يشمل البشر كلّهم من آدم إلى أن يرث الله سبحانه وتعالى الأرض ومن عليها.

﴿لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾: هو تحذيرٌ لبني آدم، لا يجعلنّكم الشّيطان تسقطون في الفتنة؛ لأنّه هو العدوّ الّذي أخرج أبويكم من جنّة التّجربة، ﴿يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ﴾، هل هذا هو الهدف؟ لا، فهذه لام المآل، وليست لام التّعليل، فقد وسوس من أجل

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصّبيّ فمات هل يُصلّى عليه؟ وهل يُعرض على الصّبيّ الإسلام؟ الحديث رقم (١٢٩٢).

الإغراء بالمعصية، ممّا أدّى إلى أنّه نزع عنهما لباسهما وأراهما سوءاتهما، فالمعصية أدّت إلى بروز السّوءة.

﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ﴾: (إنّه): تعود على إبليس، فخطورة العداوة تكمن بأنّه يراكم وأنتم لا ترونه؛ لأنّه شفّافٌ وقد خُلق من نارٍ، وأنت خُلقت من طينٍ، فالإيذاء يكون أكبر وأقوى إذا كان العدوّ يراك وأنت لا تراه.

﴿هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾: المقصود هنا شياطين الجنّ وليس الإنس؛ لأنّه سبحانه وتعالى قال: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ﴾، فشياطين الإنس نراهم، ﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾: أي ذريّة إبليس، وهنا قد يتبادر إلى الأذهان هذا السّؤال، كيف عصى آدم عليه السلام وهو نبيٌّ، والأنبياء معصومون من المعصية؟ والجواب: أوّلاً: أنّ آدم عندما عصى لم يكن في الأرض هذه الأمور للبشريّة، ثانياً: هو عصى قبل أن يكون نبيّاً، وأصبح نبيّاً بعد هبوطه إلى الأرض، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢﴾ [طه]، فالاجتباء كان بعد المعصية، إذاً النّبوّة جاءت لآدم عليه السلام بعد أن تاب، لماذا؟ الجواب: لأنّك ستقول: لو أنّه كان في الجنّة وعصى ثمّ تاب، فلا حاجة لإهباطه إلى الأرض وطالما أنّ الله سبحانه وتعالى قَبِل توبته، فلماذا أهبطه؟ هذا دليلٌ على أنّ آدم خُلق في الأصل للأرض، ليجعله خليفةً فيها، وهذه الجنّة كانت جنّة تجربة.

﴿إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾: قد يقول قائلٌ: ما ذنبنا وقد

جعل الله ﷻ الشّياطين أولياء؟ والجواب: لأنّك لم تؤمن أصبحتْ هناك ولايةٌ للشّيطان عليك، أمّا المؤمن فقد قال ﷻ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر]، ليس لإبليس -لعنه الله- سلطانٌ على بني آدم، وإنّما وسوسةٌ وإغراءٌ بالمعصية فقط.

(الآية ٢٨) - ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾:

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾: الفاحشة: من التّفحّش، أي الزّيادة في القبح، وأُطلقت في القرآن الكريم على معصيةٍ محدّدةٍ، أغلب العلماء قالوا بها، وهي الزّنا، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء]، لماذا أُطلِق على الزّنا؟ الجواب: لأنّ كلّ معصيةٍ لا يتعدّى أثرها إلى غيرها إلّا الزّنا فإنّه يتعدّى إلى غيره، فبعده يكون التّعدّي إمّا بقتل الولد الّذي نتج عن الزّنا، أو يوجد ولدٌ بلا أبٍ، واختلاطٌ بالأنساب، ومعاصٍ كثيرةٌ عقب الزّنا، لذلك كان هو الفاحشة الأساسيّة.

﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾: هنا نقطتان اثنتان: أوّلاً التّقليد الأعمى بقولهم: وجدنا عليها آباءنا، وثانياً: ادّعاؤهم أنّ الله ﷻ أمر بها، وجميع الأديان السّماويّة إنّما جاءت لتلغي التّقليد الأعمى، وهنا لم يُجب الله ﷻ على موضوع التّقليد؛ لأنّه أمرٌ باطلٌ، وإنّما أجاب عن الثّانية: ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾، فقال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾، لماذا؟ الجواب؛ لأنّ الله ﷻ كما أخبر ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ

﴿ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النّحل].

﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾: هم ارتكبوا ثلاث جناياتٍ: الأولى هي الفاحشة، والثّانية هي التّقليد الأعمى، والثّالثة أنّهم قالوا على الله جل جلاله ما لا يعلمون، فقالوا: الله أمرنا بها.

(الآية ٢٩) - ﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ٢٩﴾:

﴿قُلۡ﴾: يا محمّد.

﴿أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: في جملةٍ واحدةٍ، وفي آيةٍ قصيرةٍ أجملَ الله سبحانه وتعالى الدّين كلّه، بعقيدته وتشريعاته وأخلاقيّاته الّتي جاء بها.

﴿بِٱلۡقِسۡطِ﴾: أي بالعدل.

ما دام أنّهم يقولون على الله سبحانه وتعالى ما لا يعلمون، ويدّعون بأنّه سبحانه وتعالى هو الّذي أمر بهذه الفحشاء، فقل: أمر ربّي قبل كلّ شيءٍ، قبل أن يتحدّث عن الصّلاة وعن المساجد، ﴿أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾، وقال جل جلاله في آيةٍ أخرى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النّحل: من الآية ٩٠]، والإسلام جاء ليساوي بين النّاس، قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم: «**إنّ الله عز وجل قد أذهب عنكم عُبيّة الجاهليّة وفخرها بالآباء، مؤمنٌ تقيٌّ، وفاجرٌ شقيٌّ، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب**»(١)، لا يوجد فارقٌ ما بين كبيرٍ وصغيرٍ، ما بين أميرٍ ومأمورٍ، ما بين

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب في التّفاخر بالأحساب، الحديث رقم (٥١١٦).

غنيٍّ وفقيرٍ، المساواة في كلّ شيءٍ، لذلك تعلّم أبناء الإسلام العدل من القرآن الكريم ومن رسول الله ﷺ، عندما كلّمه أسامة في امرأةٍ مخزوميّةٍ من عليّة القوم سرقت فقال: «**أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟!**»، ثمّ قام فاختطب ثمّ قال: «**إنّما أهلك الّذين قبلكم أنّهم كانوا إذا سرق فيهم الشّريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضّعيف أقاموا عليه الحدّ، وأيم الله، لو أنّ فاطمة بنت محمّدٍ سرقت لقطعت يدها**»(1)، لماذا؟ الجواب: لأنّ هناك مساواةً، فأيّ دعوةٍ وأيّ دينٍ وأيّ أخلاقٍ لا تساوي بين النّاس وتفرّق بينهم هي دعواتٌ باطلةٌ، لذلك قال رسول الله ﷺ: «**الخلق عيال الله، وأحبّ عباد الله إلى الله أنفعهم لعياله**»(2).

﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: أي التّوجّه إلى المسجد، إلى الصّلاة، والوجه: هو الّذي يُستدلّ به على الإنسان، إذاً يُعرف الإنسان بعبوديته لله سبحانه وتعالى، وكلمة المسجد أُخذت من السّجود، قال عليه الصّلاة والسّلام: «**وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً**»(3)، إشارةً إلى الصّلاة، والصّلاة هي الرّكن الرّكين؛ لأنّها تشمل الأركان الأخرى كلّها، فيها الشّهادتان وفيها الصّيام؛ لأنّك تمتنع عن الطّعام وعن الشّراب، وفيها حجٌّ؛

---

(1) صحيح البخاريّ: كتاب الأنبياء، باب: ﴿أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾، الحديث رقم (٣٢٨٨).

(2) شعب الإيمان: باب في طاعة أولي الأمر، الحديث رقم (٧٤٤٥).

(3) صحيح البخاريّ: كتاب التّيمم، الحديث رقم (٣٢٨).

لأنّك متوجّهٌ إلى بيت الله الحرام بتوجّهك للقبلة، وفيها زكاةٌ؛ لأنّ أصل الزّكاة هو الوقت، فإن أردت تحصيل المال فلا بدّ من العمل، والعمل هو اقتطاع جزءٍ من الوقت.

﴿وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ﴾: الدّعاء لله ﷻ هو مخّ العبادة، كما قال ﷺ: «**الدّعاء مخّ العبادة**»(1)، وقال ﷺ: «**الدّعاء هو العبادة**»(2)، والإخلاص في الدّعاء هو أن تنسى الأسباب وتتعلّق بالمسبّب، فعندها تكون إجابة الدّعاء؛ لأنّ المسبِّب هو القادر وهو المجيب: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: من الآية ٦٠].

﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ﴾: فأنتم بدأكم الله ﷻ، وستعودون إليه ﷻ، لذلك علّمنا النّبيّ ﷺ أن نقول عندما يموت غالٍ على قلبنا: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «**كُنْ في الدّنيا كأنّك غريبٌ أو عابرُ سَبيلٍ**»(3)، فالإنسان عندما يكون غريباً أو عابر سبيلٍ لا يستوطن في الدّنيا، وإنّما يأخذ الزّاد للرّحلة الأساسيّة، كما قال ﷻ: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾ [البقرة: من الآية ١٩٧].

---

(١) سنن التّرمذيّ: كتاب الدّعوات، باب فضل الدّعاء، الحديث رقم (٣٣٧١).

(٢) سنن أبي داود: كتاب سجود القرآن، باب الدّعاء، الحديث رقم (١٤٧٩).

(٣) صحيح البخاريّ: كتاب الرّقاق، باب قول النّبيّ ﷺ: «كن في الدّنيا كأنّك غريبٌ أو عابر سبيل»، الحديث رقم (٦٠٥٣).

(الآية ٣٠) – ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ٣٠﴾:

الهداية من الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليست لفريقٍ واحدٍ، وإنّما للنّاس جميعاً، ولكن هذه هداية الدّلالة الّتي يدلّ بها المولى سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ العباد على الطّريق السّويّ المستقيم، يقول سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء: من الآية ٩]، إذاً هو يهدي النّاس كلّهم، ولكن الّذي يأخذ بهداية الدّلالة ويستعين بالله سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليسير في طريق الاستقامة تأتيه هداية المعونة من الله عَزَّوَجَلَّ، قال سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧﴾ [محمّد]، وقوله سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هنا: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾، هذه هداية المعونة؛ لأنّها لفريقٍ دون فريقٍ، أعانهم الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأنّهم اختاروا الطّريق الصّحيح والسّليم ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾؛ لأنّهم: ﴿ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ﴾، المشكلة ليست فقط بأنّهم اتّخذوا الشّياطين أولياء وأخذوا بطريق المعاصي والشّهوات، ولكنّهم مع ذلك يحسبون أنّهم مهتدون وأنّهم يسيرون في الطّريق الصّحيح.

(الآية ٣١) – ﴿۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾:

﴿۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ﴾: هذه الآية تبيّن بشكلٍ قاطعٍ أنّ الإسلام لم يأمر النّاس بأن يعيشوا في الزّوايا زاهدين، وإنّما أن يأخذوا بالزّينة الّتي أحلّها الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والزّينة: هي تجميلٌ فوق قِوام الشّيء.

﴿عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾: المسجد: هو جامعٌ يجمع النّاس، يلتقون في بيتٍ

من بيوت الله سبحانه وتعالى، أنت تذهب للقاء الله سبحانه وتعالى في بيته جل جلاله، وهناك كثيرٌ من خلقه في المسجد، لذلك على الإنسان أن يكون نظيفاً، وأن يأخذ بكلّ زينةٍ له عندما يأتي للقاء الله سبحانه وتعالى في بيته ومع خلقه جلّ وعلا.

﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾: قوام الحياة بالأكل والشّرب.

﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾: يبيّن الله سبحانه وتعالى بأنّ الإسراف ضلالةٌ، وعلى الإنسان ألّا يسرف وأن يكون معتدلاً في كلّ شيءٍ، واليوم هناك دعوةٌ في المجتمعات البشريّة كلّها إلى ترشيد الطّاقة والاستهلاك وعدم الإسراف، وقد سبق القرآن الكريم النّاس جميعاً إلى ذلك.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: حتّى في الوضوء أمر النّبيّ صلى الله عليه وسلم الإنسان بعدم الإسراف باستخدام المياه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم مرّ بسعد وهو يتوضّأ فقال: «**ما هذا السّرف يا سعد؟**»، قال: أفي الوضوء سرفٌ؟ قال: «**نعم، وإن كنت على نهرٍ جارٍ**»[1]، وذلك حفاظاً على هذه الثّروات إن كانت من المياه أو الطّاقة أو الكهرباء أو حتّى من الطّعام أو الشّراب؛ لأنّ التّبذير والإسراف من وسوسة وإغواء الشّيطان للإنسان، وعلى الإنسان أن يفكّر دائماً بالآخرين، فالإسلام جاء لهداية وصلاح البشريّة جمعاء، وهو كما أمرك ونهاك، فإنّه نهى عنك أيضاً وأمر غيرك، فإن قال لك القرآن الكريم: لا تنظر إلى محرّمات غيرك، فهو أمر

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: مسند المكثرين من الصّحابة، مسند عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، الحديث رقم (٧٠٦٥).

غيرك ألّا ينظروا إلى محرّماتك، وهكذا يحافظ على المجتمع عندما يقول: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ من أجل أن تبقى هذه الثّروات ويحافظ عليها الإنسان.

(الآية ٣٢) – ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣٢﴾:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾: هذا دليلٌ على أنّ المولى سبحانه وتعالى أمرهم أن يأخذوا بهذه الزّينة، وألّا يقول الإنسان: أنا خُلِقت من أجل الآخرة، فالإنسان خُلِق من أجل أن تكون الدّنيا مزرعةً للآخرة، ويتعرّض فيها للابتلاء.

﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾: عندما يتحدّث المولى سبحانه وتعالى عن الرّزق، سواءً أكان الرّزق في المال أم الطّعام أم الشّراب أم العلم، فإنّما يتحدّث عن الطّيّب الّذي لا تشوبه شبهةٌ حرامٌ، ويأتي للإنسان من خلال تعبه وعمله والمال الحلال، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾، يوجد نوعان: الطّيّبات وزينة الله سبحانه وتعالى، أي التّجميل فوق قوام الشّيء.

﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾: يوم القيامة لا يوجد زينةٌ ولا طيّباتٌ للّذين كفروا؛ لأنّهم سيذهبون إلى جهنّم. أمّا في الحياة الدّنيا فيوجد أغيارٌ، فالإنسان يكون اليوم قويّاً وغداً يُصبح ضعيفاً، يكون اليوم صحيحاً وغداً يُصبح مريضاً، والله سبحانه وتعالى يعطي الرّزق للعباد

كلّهم، فالشّمس تشرق على المؤمن وغير المؤمن، والطّعام للمؤمن وغير المؤمن، والكدّ والتّعب للمؤمن ولغير المؤمن، إذاً زينة الحياة وما يتعلّق بأمور الدّنيا ليست خالصةً للمؤمنين، ولا تكون خالصةً للمؤمنين إلّا يوم القيامة.

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ﴾: تفصيل الآيات هو بيان هذه الآيات، الأوامر والنّواهي الّتي أمر الله سبحانه وتعالى بها.

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يعلمون حقيقة الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

(الآية ٣٣) – ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٣﴾:

في هذه الآية يبيّن الله سبحانه وتعالى خمسة أنواعٍ من المحرّمات:

– أوّلاً: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾: لسلامة أيّ مجتمعٍ يجب أن تكون الفاحشة محرّمةً، والفاحشة كما قال العلماء: كنايةٌ عن الزّنا؛ لأنّ طهارة الأنساب والأعراض هي أساسٌ لبناء المجتمعات، فإذا تداخلت الأنساب فلن يوجد أبٌ يعرفُ ولده، وستختلط الأمور وينهدم النّظام الاجتماعيّ الّذي أراده الله سبحانه وتعالى للمجتمع.

وأنواع الفواحش كلّها محرّمةٌ إن كانت ظاهرةً؛ أي شائعةً في المجتمع، أو باطنةً مستورةً غير معلومةٍ، وهذه الفواحش حاربها الإسلام، وسدّ منافذ الدّخول إليها، ومنع الإنسان من النّظر إلى المحرّمات ومن الاقتراب من هذه الدّائرة، دائرة الزّنا واللّواط.

- ثانياً: ﴿وَٱلۡإِثۡمَ﴾: قال العلماء: الإثم هو الكبائر، كالخمر والميسر، فلقد ضَمِن الإسلام تنظيم حركة المجتمع بأن يكون وفق العقل؛ لأنّ الخمر يُذهب العقل، والقمار يُذهب المال، فحركة المجتمع تعتمد على عقليّة البشر، فإذا غيّبَ الخمرُ العقلَ، وإذا أكل النّاس أموال بعضهم بعضاً بالميسر، فإنّ نظام حركة المجتمع يختلّ؛ لذلك كان أوّل المحرّمات الفواحش؛ لأنّها تتعرّض للأعراض والأنساب، وثاني المحرّمات الإثم؛ لضمان حركة تنظيم المجتمع وضمان العقل، وسير الإنسان في هذا المجتمع وحماية الأموال.

- ثالثاً: ﴿وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾: البغي: هو مجاوزة الحدّ ظلماً، ومنها جاءت كلمة البِغاء، أي تجاوز الأمر المسموح به، لكن هنا يقول المولى ﷻ: ﴿وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾، هل هناك بغيٌ بحقٍّ وبغيٌ بغير حقٍّ؟ البغي هو تجاوز الحدّ ظلماً، لكن من الممكن أن يكون هناك تجاوزٌ للحدّ ولكن ليس ظُلماً وإنّما عدلاً، كيف؟ مال السّفيه مثلاً تأخذه لتثمّره وتنمّيه، لكن أخذ المال هو بغيٌ وتجاوز حدٍّ، وهو ليس ملكك، لذلك قال المولى ﷻ هنا: ﴿وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾.

- رابعاً: ﴿وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾: إذا لم يكن هناك دليلٌ ولا سلطانٌ للعقل الّذي يأخذ عن الله ﷻ، فإنّك في عملك قد تشرك به ﷻ وليس الشّرك فقط مقصوراً على عبادة الأوثان والشّمس والقمر، وإنّما قد يكون بالرّياء أو أن يعمل الإنسان العمل لغير وجه الله ﷻ، عن شدّاد بن أوس رضي الله عنه قال: بينما أنا عند رسول الله ﷺ إذ رأيت بوجهه أمراً ساءني

فقلت: بأبي وأمّي يا رسول الله، ما الّذي أرى بوجهك؟ قال: «**أمرٌ أتخوّفه على أمّتي من بعدي**»، قلت: وما هو؟ قال: «**الشّرك وشهوةٌ خفيّةٌ**»، قال: قلت: يا رسول الله، أتشرك أمّتك من بعدك؟ قال: «**يا شدّاد، أمَا إنّهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً ولا حجراً ولكن يراؤون النّاس بأعمالهم**»[1]، وفي الحديث القدسيّ: «**أنا أغنى الشّركاء عن الشّرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»[2].

- خامساً: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾: هي قضيّةٌ دائمةٌ ومستمرّةٌ حتّى اليوم، كثيرٌ من النّاس يقفون عند الحرام، مثال: الرّبا، يأتي إنسانٌ ليحاور ويناقش ويقنع بأنّ الرّبا حلالٌ، لو أنّه قال: بأن الرّبا حرامٌ، ولكنّني أخطأت وارتكبت الإثم لكان إثمه أخفّ من أن يحلّل ما حرّم الله سبحانه وتعالى، وأن يقول على الله سبحانه وتعالى ما لا يعلم.

(الآية ٣٤) - ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٣٤﴾:

هنا نصٌّ قرآنيٌّ يثبت قضايا الوجود الواقعيّ، أي أنّه ما من أمّةٍ إلّا ولها أجلٌ، ولكلّ إنسانٍ أجلٌ، فالأمم لها آجالٌ، والبشر لهم آجالٌ.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۖ﴾: ميعادٌ، توقيتٌ.

---

(١) المستدرك على الصّحيحين للحاكم: ج٤، ص/٣٦٦، الحديث رقم (٧٩٤٠).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الزّهد والرّقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، الحديث رقم (٢٩٨٥).

﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةً﴾: ساعةً: هي اصطلاحٌ عصريٌّ، وهو معيارٌ زمنيٌّ لضبط الوقت، أمّا كلمة ساعةٍ هنا فلا تعني ستّين دقيقةً، وإنّما يُقصد بها المعيار الزّمنيّ لضبط الوقت، إذاً وقت نهاية الأجل مضبوطٌ بدقّةٍ، وقد بيّن المولى ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًاۗ﴾ [آل عمران: من الآية ١٤٥]، هذا قانونٌ إلهيٌّ يثبت الواقع صحّته، ما استطاع أحدٌ أن يتفلّت منه، ولم تستطع أمّةٌ من الأمم أن تحيد عنه، أين الفراعنة؟ أين القياصرة؟ أين الأكاسرة؟ أين الأمم؟ أين الرّوم؟ أين الفرس؟ أين الأمم السّابقة؟ أين الحضارات السّابقة؟ كلّها لها أجلٌ، فإذا جاء هذا الأجل وجاء التّوقيت المعدّ للنّهاية فهم: ﴿لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾، والإنسان عندما يموت تقوم قيامته؛ لأنّه دخل المرحلة الثّانية، هناك أجلٌ هو الحياة الدّنيا، وهناك أجلٌ وهو البقاء في البرزخ حتّى البعث.

(الآية ٣٥) - ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥﴾:

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾: تشمل البشر كلّهم.

﴿إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾: حكم المولى ﷻ بأنّه سوف يرسل رسلاً منذرين ومبشّرين ينذرون النّاس من عذاب يومٍ أليمٍ، ويبشّرونهم بالجنّة إذا عملوا الصّالحات وساروا على النّهج القويم.

﴿يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ﴾: القصّ: هو اقتفاء الأثر، وكأنّه يقول: إنّهم سيأتون ويجب عليكم أن تأخذوا ما يقوله وما يأمر به الرّسل.

﴿ءَايَٰتِي﴾: إمّا أن تكون آيات القرآن الكريم، أو أن تكون الآيات الكونيّة، يبيّنون لكم هذه الآيات.

﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ﴾: التّقوى أن تتقّي الشّيء أي أن تجعل بينك وبينه حاجزاً، ولا بدّ مع التّقوى من الإصلاح، فالصّلاح والإصلاح والاستقامة أساسٌ بالنّسبة للمؤمن، فلا يكفي للمؤمن أن يقول: إنّني تقيٌّ، ولا يكفي أن يصلّي ويصوم ويزكّي ويحجّ وأن يفعل العبادات، لا بدّ له كما بيّن المولى ﷻ من التّقوى والصّلاح في عمله، وألّا يكون من المفسدين.

﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾: لا خوفٌ عليهم ممّا يأتي، ولا هم يحزنون ممّا وقع عليهم، فالخوف ممّا سيأتي، والحزن هو على ما أتى، فأولئك الّذين اتّقوا ربّهم والّذين أصلحوا واتّبعوا التّقوى بالصّلاح والإصلاح: ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾.

(الآية ٣٦) - ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٦﴾:

التّكذيب دائماً يكون فيه استكبارٌ؛ لأنّ إبليس -لعنه الله-: ﴿أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البقرة: من الآية ٣٤]، فالّذين يكذّبون بآيات الله ﷻ يستكبرون عن الحقائق، ولا يصغون إليها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: استخدم الله ﷻ كلمة أصحاب؛ لأنّ الصّاحب هو الّذي يختار صاحبه، أي أنّهم هم الّذين اختاروا النّار؛ لأنّهم كذّبوا بآيات الله ﷻ.

(الآية ٣٧) – ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ٣٧﴾:

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾: تأتي بصيغة السّؤال الاستنكاريّ، والجواب: لا أحد أظلم.

﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ﴾: إمّا أنّه كذّب بآيات الله سبحانه وتعالى الكونيّة الدّالّة على وجوده سبحانه وتعالى كالشّمس والقمر والنّجوم والماء والهواء والمطر والنّبات وكلّ شيءٍ، أو كذّب بآيات القرآن الكريم، أو أنّه افترى على الله سبحانه وتعالى كذباً، أي حلّل ما حرّم سبحانه وتعالى وحرّم ما أحلّ جلّ جلاله.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِۖ﴾: أي من الحياة والرّزق، فإن كفر الإنسان واستكبر وكذّب لا يمتنع عنه نزول المطر ولا إنبات الأرض، لذلك نرى سيّدنا إبراهيم عليه السلام كيف علّمه المولى سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ١٢٦﴾ [البقرة]، فعندما خصّص إبراهيم عليه السلام الدّعاء بالرّزق لمن آمن، أجابه الله سبحانه وتعالى بأنّ رزق الدّنيا ليس فقط لمن آمن، بل ولمن كفر، ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ﴾: وثمّ: حرف عطفٍ على التّراخي، أي بعد زمنٍ، لذلك لا يستعجل أولئك الّذين كذّبوا بآيات الله سبحانه وتعالى، فالقيامة قادمةٌ لا شكّ؛ لأنّ المولى سبحانه وتعالى بيّن بأنّه يعطي ويمدّ للكافرين، ولكنّ النّهاية هي عذابٌ أو ثوابٌ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾: أي ملائكة الموت.

﴿يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ﴾: التّوفي هو استيفاء الأجل.

﴿قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾: قالت الملائكة لهم: أين الّذين تدعون من دون الله ﷻ؟ أين النّاس الّذين كنتم تستنصرون بهم؟ أين أموالكم؟ أين الجاه؟ أين الأوثان؟ أين الأصنام؟

﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾: تركونا لم نعد نراهم أو يروننا.

﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾: شهادةٌ منهم يوم القيامة على أنّهم كانوا كافرين، وأنّهم أجرموا وظلموا أنفسهم، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ١٠١﴾ [هود].

(الآية ٣٨) – ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨﴾:

﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ﴾: هذا هو القانون الإلهيّ الّذي لا يتخلّف، الأمم السّابقة الّتي كفرت وعتت واستكبرت عن أمر الله ﷻ، والّتي ضلّت وأضلّت.

﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾: عندما تبرّأ الّذين اتُّبعوا من الّذين اتَّبعوا، وتقطّعت

بهم الأسباب، هذا مشهدٌ من مشاهد يوم القيامة يعطيها المولى ﷻ للنّاس، فعندما تدخل هذه الأمم بظلمها وطغيانها وجبروتها وتكبّرها واستكبارها النّار تدخل مع أممٍ كانت من قبلها من الإنس والجنّ، وكلّما دخلت أمّةٌ ورأت الحقيقة والعذاب والنّار لعنت أختها، حتّى إذا أصبحوا فيها جميعاً قالت أخراهم للأولى؛ لأنّها كانت السّبب في الضّلال: لو كنتم مؤمنين لكنّا مؤمنين مثلكم، ولكنّنا اتّبعنا خطواتكم.

﴿فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ﴾: أي عذاباً لضلالهم وكفرهم، وعذاباً لإضلالهم لنا.

﴿قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ﴾: هم لهم ضعف العذاب؛ لأنّهم كفروا واستكبروا وأضلّوا، وأنتم لكم عذابٌ ضعفٌ؛ لأنّكم كفرتم وضللتم واتّبعتم وقلّدتم.

(الآية ٣٩) – ﴿وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٣٩﴾:

وكأنّ هناك نقاشاً يحدث في ذلك اليوم بين الأمم الأولى والأمم الأخيرة من الّذين ضلّوا وأضلّوا وكفروا واستكبروا وكذّبوا بآيات الله ﷻ.

﴿وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ﴾: أي ليس لكم علينا فضلٌ، وقد خسرتم؛ لأنّكم اتّبعتم الضّلال، ولسنا مسؤولين عن ضلالكم.

﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾: بعملكم وليس بغوايتنا.

يبيّن الله ﷻ أحوال النّاس وما يحدث معهم عندما يتركون المنهج ويستكبرون ويكذبون على الله ﷻ حتّى لا يكون للنّاس على الله ﷻ حجّة بعد الرّسل وبعد البيان في كتبه ﷻ.

(الآية ٤٠) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤٠﴾:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: الآية: المعجزة، والآيات الّتي هي فواصل ما بين الجمل في القرآن الكريم هي معجزاتٌ، فكلّ كلمةٍ وكلّ حرفٍ في كتاب الله ﷻ معجزةٌ، كذلك الآيات هي الآيات الكونيّة، المعجزات الكونيّة، قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠﴾ [آل عمران]، آياتٌ بيّناتٌ ومعجزاتٌ واضحاتٌ دالّاتٌ على وجود الله ﷻ من خلال خلقه في كونه.

وسواءٌ أكانت آيات القرآن الكريم أم الآيات الكونيّة فهم قد كذّبوا واستكبروا عنها، إذاً هناك نقطتان: الأولى أن تكذّب بما جاء فيه القرآن الكريم، والثّانية أن تكذّب كلّ الدّلائل الموجودة، ومع هذا التّكذيب هناك استكبارٌ كما استكبر إبليس -لعنه الله-، فهي ليست معصيةً وبعدها توبةٌ، وإنّما هنا تكذيبٌ واستكبارٌ عن التّوبة.

﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ﴾: أبواب السّماء في عطائها ورحمتها وجنّاتها لا تفتّح لهم، ولا يدخلون الجنّة ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ

﴿ٱلۡخِيَاطِۚ﴾: علّق الله ﷻ دخولهم الجنّة بمستحيلٍ عقلاً وعلماً وفعلاً، وسمّ الخياط أي ثقب الإبرة، وهذا بالتصوّر العقليّ لا يمكن، قال بعض المفسّرين: ما علاقة الجمل بسمّ الخياط، أي بثقب الإبرة؟ الجواب: هناك حبالٌ غلاظٌ توضع للسّفن تسمّى جملاً، وما دام يستحيل عقليّاً وعلمياً وفعليّاً أن يدخل هؤلاء في سمّ الخياط، فمن المستحيل أن تفتّح أبواب رحمات السّماء لأولئك الّذين كذّبوا واستكبروا.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾: مرّةً يقول: ﴿نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ومرّةً أخرى: ﴿نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾، فهؤلاء قد أجرموا بحقّ أنفسهم، وأجرموا بحقّ خلق الله ﷻ أيضاً؛ لأنّهم لم يتّبعوا منهجه ﷻ الّذي هو منهج الخير: لا تسرق، لا تزنِ، لا تعتدِ، لا تقتل، لا تنمّ، لا تغتب، لا تؤذِ، افعل الخيرات، افعل المباحات، ابتعد عن حُرمات الآخرين.. إذاً هو مجمل الخير، فالإنسان الّذي لا يتّبع المنهج هو مجرمٌ؛ لأنّه يجرم بحقّ نفسه، وبحقّ غيره، ويتعدّى على حقوق الآخرين.

(الآية ٤١) – ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٤١﴾:

﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ﴾: المهاد هو الفراش، سيكون فراشهم جهنّم.

﴿وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ﴾: غواش: غطاء جهنّم، أي فرش هذا المهاد، فالمهاد وفرشه اسمه غواش، وكلّها من النّار من الأطراف كلّها كما قال ﷻ: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ﴾ [الكهف: من الآية ٢٩]، محيطةٌ بهم من

الاتّجاهات كلّها.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: لأنّ الظّالم هو الّذي يتعدّى على حقوق الآخرين، ويستبيح لنفسه الظّلم، ومنهج الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو منهج العدل، فكلّ ما يناقض العدل هو ظلمٌ، وهذا الظّلم مكانه جهنّم.

(الآية ٤٢) - ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٤٢﴾:

لأنّ القرآن الكريم كلام ربٍّ وليس كلام عبدٍ قال سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، واعترض بجملةٍ اعتراضيّةٍ: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ﴾، فالإيمان هو عمل القلب، ولكن لا يكفي وحده، لا بدّ من عمل الجوارح؛ لأنّه قد يقول إنسانٌ: بأنّني مؤمنٌ، ويكذب، يقول: بأنّني مؤمنٌ، ويرتشي، يقول: بأنّني مؤمنٌ، ويغتاب، يقول: بأنّني مؤمنٌ، ويسرق، يقول: بأنّني مؤمنٌ، ويقتل، يقول: بأنّني مؤمنٌ، ويؤذي جيرانه، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «ما آمن بي من بات شبعانَ وجاره جائعٌ إلى جنبه وهو يعلم به»[1]، لم يقل: (ما أسلم بي)، الإيمان هو عمل القلب مع عمل الجوارح، يتحقّق السّلوك مع ما يتّفق مع العقيدة، فلا إيمان من غير عملٍ صالحٍ، لذلك نجد الآيات كلّها الّتي تتحدّث عن الإيمان تربط بين الإيمان والعمل الصّالح، قال سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر]، الصّالحات جمع صالحة، فلا يعمل

(١) المعجم الكبير للطّبرانيّ: باب الألف، أنس بن مالك الأنصاريّ، الحديث رقم (٧٥١).

السّيئات، ولا يعمل إلّا ما يصلح لنفسه ولغيره، قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضعٌ وسبعون، أو بضعٌ وستّون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلّا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطّريق»[1]، حتّى إماطة الأذى عن الطّريق هي شعبةٌ من شعب الإيمان؛ لأنّه عمل جوارح.

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ﴾: لماذا جاءت الجملة الاعتراضيّة هنا؟

الجواب: جاءت لتبيّن عظمة هذا القرآن الكريم، أي أنّ الله سبحانه وتعالى عندما يخاطب بني آدم يقول لهم: إيّاكم أن تعتقدوا أنّ منهج الخير ومنهج الإيمان هو فوق طاقتكم، صحيحٌ بأنّه يحدّ من شهواتكم ومن بعض الأمور الّتي تطلبها النّفس بشهوةٍ، فالدّين يكبح ويضبط الشّهوات ولا يلغيها، هناك شهوة الجنس ترك لها مصرفاً وهو الزّواج، وشهوة الطّعام ترك لها مصرفاً الأطعمة كلّها باستثناء لحم الخنزير، وهناك الأشربة كلّ شيءٍ حلالٌ إلّا الخمر، ترك مصرفاً حتّى يعلم الإنسان بأنّه إذا كلّفه فبوسعه، فعندما يقول: بأنّني أمرت بالصّيام شهراً كاملاً، فهل هذا بوسعي؟ ما دمت ترى إنساناً يصوم فاعلم أنّه بوسعك أن تصوم، قال: صم من الفجر إلى غروب الشّمس، إذاً ذلك باستطاعتك، قال: أدّ الصّلاة خمس مرّات، إذاً ذلك باستطاعتك، قال: أخرج من مالك هذا المقدار كزكاةٍ، فذلك باستطاعتك، أمرك بالحجّ، فذلك باستطاعتك، أمرك بعدم الغيبة، فباستطاعتك ألّا تغتاب، أمرك بعدم الكذب، فباستطاعتك أن تكون صادقاً.. فإيّاكم أن

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، الحديث رقم (٣٥).

تعتقدوا أنّ دخول الجنّة معقّدٌ لهذه الدّرجة، لذلك قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ﴾، أي الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات واعترضها بجملةٍ اعتراضيّةٍ أنّهم آمنوا وعملوا الصّالحات ضمن طاقتهم، وليس فوق طاقتهم؛ لأنّ الله ﷻ إن كان أمر بأمرٍ ثمّ طرأ على الإنسان طارئٌ فلم يعد بمقدوره تحقيقه خفّفه الله ﷻ عنه، كقوله ﷻ: ﴿أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤﴾ [البقرة]، الصّلاة إن لم تستطعها قائماً صلّيتها قاعداً، الزّكاة إن لم يوجد لديك مالٌ بلغ النّصاب فلا زكاة عليك، الحجّ لمن استطاع إليه سبيلاً.

(الآية ٤٣) - ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣﴾:

الغلّ: هو الحقد، ويكون في الدّنيا حيث يجتهد النّاس وقد يكونون مؤمنين ويختلفون فتنشأ نتيجة هذه الخلافات والصّراعات في اجتهاداتهم الدّنيويّة بعض الأحقاد والحسد، أمّا في الجنّة فيُنزع الغلّ والحقد الّذي كان موجوداً في الدّنيا نتيجة الخلافات. واستخدم المولى ﷻ كلمة: ﴿وَنَزَعۡنَا﴾؛ لأنّها تؤخذ أخذاً.

﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾: هم في جنّةٍ ظلالها وارفةٌ، وأنهارها تجري

من تحتهم.

﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾: حمد الله سبحانه وتعالى كان في الدّنيا عبادة تكليفٍ؛ لأنّه يجب أن تشكر المولى سبحانه وتعالى، قال جل جلاله: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾ [إبراهيم: من الآية ٧]، أمّا هنا فالحمد لله سبحانه وتعالى هو غبطةٌ وسرورٌ، فقالوا: الحمد لله الّذي هدانا لهذا، أي أوصلنا إلى ما أوصلنا إليه.

﴿وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾: لا ندخل الجنّة بأعمالنا، وإنّما برحمة الله سبحانه وتعالى، وما كنّا لنهتدي لولا هداية الله سبحانه وتعالى، حتّى لا يقولنّ قائلٌ: كيف تقولون: بأنّ الهداية من نفس الإنسان؟ نقول: الهداية العامّة من الله سبحانه وتعالى، أمّا توجّه الإنسان باتّجاه الهداية فهي من نفسه، هذه هداية دلالةٍ وهداية معونةٍ حتّى دخول الجنّة فإنّما برحمة الله سبحانه وتعالى، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ما منكم مِنْ أحدٍ يدخله عملُه الجنَّة»**، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: **«ولا أنا، إلّا أن يتغمَّدني الله منه برحمة»**[1]، فإذاً مهما عملنا من أعمالٍ ومن خيراتٍ فلن نكون قد أدّينا جزءاً من حقّ ربّنا علينا، ونحن مقصّرون، لذلك يدخلنا الجنّة برحمته سبحانه وتعالى، صحيحٌ قال جل جلاله: ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ٤٠ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ٤١﴾ [النّجم]، لكن مهما فعلت ومهما كان هذا السّعي فأنت تحتاج رحمة الله سبحانه وتعالى حتّى تدخل الجنّة، وهناك ناحيةٌ أخرى، من الّذي قال: بأنّ هذا السّعي وهذا العمل الخيّر سيكون الثّواب عليه الجنّة؟ الجواب: رحمة الله سبحانه وتعالى، فالله جل جلاله لو لم يشأ أن يكون الجزاء

---

(١) المعجم الكبير للطّبرانيّ: باب الشّين، شريك بن طارق بن سفيان، الحديث رقم (٧٢٢١).

هو الجنّة لما كان جزاء العمل الصّالح الجنّة، فهي رحمةٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أيضاً.

﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾: أي بطريق الهداية، فعليك أن تأخذ ما جاء به الرّسول ﷺ، فهم قالوا: اتّبعنا الرّسل وما جاؤوا به كان هو الحقّ، فوصلنا إلى ما وصلنا إليه.

﴿وَنُودُوا﴾: من الملائكة.

﴿أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: وكأنّها ميراث حقٍّ ينتظرهم، أورثتموها بماذا؟ الجواب: أورثتموها بما كنتم تعملون؛ لأنّ العمل هو الّذي يوصل إلى الجنّة، ولن ندخلها إلّا برحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأنّه هو الّذي جعل هذا الثّواب، ولا يوجد تناقضٌ على الإطلاق، ففي يوم القيامة تحسب الأعمال وما فعلناه في الدّنيا، فإن كانت الحسنات أكثر من السيّئات فالمصير والمآل إلى الجنّة، فالّذي وضع هذا المعيار هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو من تفضّل علينا بالهداية وإرسال الرّسل ونحن لولاه جَلَّ جَلَالُهُ ما كنّا لنهتدي ولا لندخل الجنّة.

(الآية ٤٤) - ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾:

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾: هناك حوارٌ في الآخرة بين أصحاب الجنّة وأصحاب النّار، وكأنّهم يرون بعضهم بعضاً، فيخاطب أصحاب الجنّة أهل النّار قائلين لهم: ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا

حَقًّا﴾؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى وعدنا ونحن في الدّنيا بأنّنا إذا فعلنا ما أمرنا به وانتهينا عمّا نهانا عنه فإنّنا سندخل الجنّة، وقد وجدنا وعد الله سبحانه وتعالى حقّاً؛ لأنّنا وصلنا إلى الجنّة.

﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾: أُدخلت الكاف على كلمة ربّ، وكأنّهم يقولون لهم: بأنّكم لم تكونوا تؤمنون بربكم.

﴿قَالُوا نَعَمْ﴾: أجاب أهل النّار بـ: نعم.

﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾: أي أعلم، الأذان هو إعلامٌ، أي أُطلق صوت إعلانٍ من قبل الملائكة أن ﴿لَّعْنَةُ اللَّهِ﴾: أي طردٌ من رحمة الله سبحانه وتعالى، ﴿عَلَى الظَّالِمِينَ﴾: ظلموا أنفسهم وظلموا غيرهم.

(الآية ٤٥) – ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ (٤٥)﴾:

إضافةً لما تحدّث عنه المولى سبحانه وتعالى عن المجرمين والظّالمين، ذكر سبحانه وتعالى هذه الصّفة: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾، فهم يريدون منهج الله جلّ وعلا معوجّاً، وكثيرٌ من النّاس الآن يريدون منهجه سبحانه وتعالى معوجّاً، يقولون: الرّبا حلالٌ، ومن قال لك: إنّ الخمر حرامٌ؟! يبحثون عن أيّ قضيّةٍ أو أيّ موضوعٍ ليكون المنهج معوجّاً وليس مستقيماً.

(الآية ٤٦) – ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ۚ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦)﴾:

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾: يوجد حجابٌ ما بين الجنّة والنّار، وجاء في آياتٍ

أخرى: ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣﴾ [الحديد: من الآية ١٣]، فهو حجابٌ أحد جانبيه عذابٌ لأهل النّار ومن الجانب الآخر الرّحمة، وهذا الحجاب يُتراءى من خلاله.

﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ﴾: أوّل مرّةٍ تذكر الفئة الثّالثة، وهم أصحاب الأعراف الّذين تساوت حسناتهم وسيّئاتهم، والأعراف في اللّغة: المكان المُشرف، ومنه عرف الدّيك، ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ﴾: أي على أعراف السّور؛ وهي شُرفه.

﴿يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ﴾: من وجوههم يعرفونهم بسيماهم، كما قال جلّ وعلا: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ٢٤ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ٢٥﴾ [القيامة].

﴿وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ﴾: أصحاب الأعراف التفتوا إلى أصحاب الجنّة وقالوا: السّلام عليكم، بتحيّة الإيمان، بتحيّة الإسلام، بتحيّة السّلام والأمان والطّمأنينة.

﴿لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾: لم يدخلوا الجنّة حتّى الآن، وهم يطمعون أن يدخلوها معهم.

(الآية ٤٧) – ﴿۞وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧﴾:

﴿۞وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾: لنلاحظ دقّة الأداء القرآنيّ، عندما تحدّث عن خطاب أصحاب الأعراف مع أصحاب الجنّة قال:

﴿وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾، أي كأنّهم التفتوا إلى أصحاب الجنّة وقالوا: السّلام عليكم، بينما عندما ذكر أصحاب النّار قال: ﴿۞وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾، فهم لا يريدون أن يلتفتوا أبداً إلى أصحاب النّار، لكن صُرفت أبصارهم رغماً عنهم، وكلمة (صُرِفت) هنا مبنيّةٌ للمجهول، كأنّ البصر التفت بغير إرادته إلى أهل النّار.

﴿قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: هم موقوفون على الأعراف، وعندما رأوا عذاب أهل النّار توسّلوا إلى الله عَزَّوَجَلَّ ألّا يجعلهم مع القوم الظّالمين.

(الآية ٤٨) – ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۝٤٨﴾:

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾: يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إخباراً عن تقريع أهل الأعراف لرجالٍ من صناديد المشركين وقادتهم يعرفونهم في النّار بسيماهم كأبي جهلٍ وأبي لهبٍ وغيرهم من الّذين كانوا في أيّام النّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾: أي كثرتكم.

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: ما كنتم تستكبرون على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(الآية ٤٩) – ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۝٤٩﴾:

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ﴾: أي فقراء ومساكين المسلمين.

﴿أَقْسَمْتُمْ﴾: في الدّنيا.

﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ﴾: في الآخرة، يوبّخونهم بذلك.

﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾: صدر الأمر من الله ﷻ بأنّهم بمجرّد قيامهم بهذا الحوار، ونظرهم إلى رحمة الله ﷻ لأهل الجنّة، يُقال لهم: ادخلوا الجنّة.

(الآية ٥٠) – ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠﴾:

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾: يستغيث أهل النّار بأهل الجنّة ويستطعمونهم ويستسقونهم، عند نُزُول عظيم البلاء بهم من شدّة العطش والجوع، عقوبةً من الله ﷻ لهم على ما سلف منهم في الدّنيا من ترك طاعته ﷻ، والإفاضة: التّوسعة؛ يُقال: أفاض عليه نعمه.

﴿أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾: يعني من الطّعام.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: يعني طعام الجنّة وشرابها.

(الآية ٥١) – ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٥١﴾:

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا﴾: الّذين كانوا يستهزئون بالدّين ويحاربون أهله.

﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾: اعتقدوا أنّ هذه الحياة الدّنيا هي غاية الحياة، وهذا هو خطؤهم، فهناك الحياة الدّنيا وهناك الآخرة، وكما قال عبد

الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: "احرث لدنياك كأنّك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً"، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص].

﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾: ننساهم أي ندعهم ولا نلتفت إليهم، ولن تطالهم رحمتنا؛ لأنّهم نسوا لقاء هذا اليوم الّذي جاءتهم الرّسل منذرةً به، ونزلت عليهم الكتب تحذيراً لهم.

﴿وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾: وما كانوا بآياتنا يكفرون ويرفضون ويستكبرون على الله سبحانه وتعالى بغير الحقّ.

(الآية ٥٢) – ﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥٢﴾:

﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾: فلا عذر لهم، فقد جئناهم بكتابٍ وهو القرآن الكريم، ﴿فَصَّلۡنَٰهُ﴾: أي فصّلنا أحكامه ومعانيه ومواعظه وقصصه على علم الله سبحانه وتعالى، فالعليم سبحانه وتعالى نزّل هذا الكتاب الكريم مفصّلاً، فيه هداية الدّلالة لكلّ النّاس.

﴿هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾: هذا الكتاب فيه هدايةٌ، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢﴾ [الإسراء]، قد يقول قائلٌ: كيف يكون هذا الكتاب شفاءً ورحمةً، وهو في الوقت ذاته خسارةٌ للكافرين؟ فهنا نقول: القابل مختلفٌ والفعل واحدٌ، مثلاً:

إذا كان الإنسان في حالة بردٍ فإنّه ينفخ في كفّيه طلباً لتدفئتهما، وإذا أراد أن يشرب كأساً من الشّاي فإنّه ينفخ فيه أيضاً ليبرّده فيستطيع شربه، فإذاً الفعل واحدٌ لكنّ القابل مختلفٌ، لذلك قال المولى سبحانه وتعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۝٨٢﴾ [الإسراء]، وهنا قال أيضاً: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً﴾، لمن؟ ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، القوم الّذين آمنوا أخذوا بهداية الدّلالة، فجاءتهم الرّحمة وجاءتهم هداية المعونة، وأمّا الّذين رفضوا هذه الهداية فقد خسروا؛ لأنّهم رفضوا القرآن الكريم والإيمان به.

(الآية ٥٣) - ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝٥٣﴾:

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾: التّأويل: ما يؤول إليه الشّيء، أي العاقبة، هل ينظرون إلّا العاقبة الّتي يؤول إليها عملهم وهي إمّا الجنّة أو النّار في يوم الحساب؟ فعندما يتمّ حساب النّاس ويأخذ كلّ إنسانٍ كتابه هنا يكون التّأويل وما آل إليه الشّيء، أو رجع إليه الإنسان، فيكون مرجعه إمّا إلى الجنّة أو إلى الجحيم، إذاً العاقبة الّتي بعدها الحقّ.

﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾: عندما يعرف الإنسان مآله ومرجعه، بأنّه من أصحاب الجنّة أو من أصحاب النّار.

﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ﴾: أي تركوه ولم يعملوا به.

﴿قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾: يبحثون عمّن يشفع لهم في هذا اليوم.

﴿فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ﴾: يدخلوننا الجنّة.

﴿أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُ﴾: أي في حياتنا الدّنيا، فيكون الجواب:

﴿قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾: لم يجدوا هدايةً ولا شفيعاً واحداً يشفع لهم، ولا يستطيعون العودة إلى الدّنيا مرّةً أخرى ليعملوا غير الّذي عملوه سابقاً.

﴿وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾: ابتعد عنهم كلّ ما افتروه من عبادةٍ لشهواتهم وأصنامهم وتماثيلهم وغاياتهم في هذه الدّنيا، أصبح بينهم وبينه أمداً بعيداً، ولا يستطيعون أن يجدوا شفيعاً واحداً يشفع لهم لتغيير مآلهم من الجحيم إلى الجنّة.

(الآية ٥٤) – ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾: ما الفارق بين الرّبّ والإله؟ والجواب: الرّبّ هو المعطي، هو المنعم، والإله هو الّذي يعطي الأوامر للعبادة والتّكليف؛ افعل ولا تفعل، هذا حلالٌ وهذا حرامٌ، الله سبحانه وتعالى الّذي ربّاكم وأنعم عليكم وخلقكم وأمركم بعبادته.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: يبيّن المولى سبحانه وتعالى الظّرف الّذي يوجد فيه الإنسان، ظرف المكان وهو السّماوات والأرض، إنّ ربّكم الله عزّ وجلّ الّذي خلق: أي أوجد من عدمٍ على غير مثالٍ سابقٍ، يقول الإنسان بأنّه خلق هذه المحفظة أو خلق هذه الطّاولة، ونردّ عليه بقولنا: هي لم تكن من عدمٍ وأُوجِدت، وإنّما هناك خشبٌ وزجاجٌ فجمعت المواد الأوّليّة وأصبحت طاولةً، فلا تسمّى خلقاً، إنّما صنعاً، هناك فارقٌ، بينما الخلق هو إيجادٌ من عدمٍ على غير مثالٍ سابقٍ، أي ليس هناك تصوّرٌ في الذّهن ماذا سيكون هذا المثال، أنت تصنع كوباً ثمّ أكواباً أخرى على مثاله، أمّا أن تخلق من غير مثالٍ سابقٍ فهذه للخالق وحده جلّ جلاله، لذلك هذا يسمّى خلقاً، كخلق السّماوات والأرض.

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: جمع السّماوات وأفرد الأرض، والسّماء هي كلّ ما علاك فأظلّك، بعض النّاس يعتقد أنّ السّماء هي هذا الغلاف الجويّ، أو أنّها هي الكواكب والنّجوم والشّمس والقمر، والصّحيح أنّ السّماء فراغٌ كبيرٌ خُلِق في ستّة أيّام، فالله سبحانه وتعالى خلق السّماوات والأرض في ستّة أيّامٍ، وقد قلنا سابقاً: بأنّ الله سبحانه وتعالى يخلق بكلمة: ﴿كُن﴾، وليس بالعلاج، فكيف هنا يقول: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾؟ الله سبحانه وتعالى خلق السّماوات والأرض بالكلمة ﴿كُن﴾، ولكنّه سبحانه وتعالى أراد أن تتعلّق أمور الدّنيا كلّها بالأسباب والمسبّبات، فترك لها ستّة أيامٍ، وكان المولى سبحانه وتعالى يستطيع أن تكون الأرض والسّماوات جاهزةً بكلمة ﴿كُن﴾، فالله سبحانه وتعالى لا

يحتاج إلى زمنٍ، فعندما نقول: ﴿خَلَقَ﴾ أي أنّه خلق وترك الأمر للأسباب حتّى تكون الدّنيا دنيا أسباب.

﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: ما هي الأيّام؟ اليوم بالنّسبة لنا هو من شروقٍ إلى شروقٍ، أو من غروبٍ إلى غروبٍ، لكن هل كان هناك شمسٌ عندما خلق الله سبحانه وتعالى السّماوات؟ الجواب: لم يكن هناك شمسٌ، فإذاً كيف سنحسب اليوم الّذي تحدّث عنه المولى سبحانه وتعالى؟ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سبأ]، أي أنّ اليوم بالنّسبة لهذه الآية ليس أربعاً وعشرين ساعةً، اليوم هو نهارٌ، وكذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجّ]، وفي آيةٍ أخرى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج]، إذاً اليوم المقصود في القرآن الكريم هو مقياسٌ زمنيٌّ لا نعرف ما هو بالتّحديد؛ لأنّ حساب الزّمن بالنّسبة لنا يتعلّق بالشّمس، والأيّام السّتّة هي زمنٌ لا يمكن أن نعرفه، والله سبحانه وتعالى لم يرد لنا أن نعرف مقدار هذا الزّمن، فنكتفي بأنّ هناك زمناً لتتفاعل الأمور، ونحن نعلم من خلال النّظريّات الحديثة أنّ هناك انفجاراً كونيّاً قد حدث، وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى ذلك عندما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء]، إذاً قال هنا: بأنّه خلق السّماوات والأرض في ستّة أيامٍ، وفي آياتٍ أخرى يقول جلّ جلاله: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ

فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝١٢﴾ [فصّلت]، أصبحوا ثمانية أيّامٍ، هذه آيات تفصيلٍ، وهنا آيةٌ مجملةٌ، فكيف هي ثمانية أيّامٍ في آيات التّفصيل؟ الجواب: القرآن الكريم عندما تحدّث عن خلق الأرض قال: ﴿۞قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾، وعندما تابع: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾، أي الأيّام الأربعة تشمل اليومين اللّذين قدّر فيهما الأقوات، واليومين اللّذين خلق فيهما الأرض، فكانت أربعة أيّامٍ، أمّا السّماوات فبيومين، فهذه ستّة أيّامٍ بعلم الله سبحانه وتعالى، ولا نستطيع أن نقيسها بعلمنا.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: ماذا تعني كلمة العرش؟ هو سرير الملك.

﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: الاستواء هو أنّ الأمر قد استتبّ، أي اكتمل خلق السّماوات والأرض، وقد سئل الإمام مالك رضي الله عنه: ما معنى الاستواء على العرش؟ قال: "الاستواء معلومٌ، والكَيف مجهولٌ، والإيمان به واجبٌ، والسّؤال عنه بدعةٌ"، يعني عن كيفيّة الاستواء؛ لأنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم لم يُسأل عنه في ذلك الوقت، لماذا؟ لأنّ الله سبحانه وتعالى بيّن هذا الأمر، فعندما نقرأ القرآن الكريم نجد قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ﴾ [الفتح: من الآية ١٠]، ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَاۖ﴾

[الطّور: من الآية ٤٨]، هل الله جَلَّالَهُ له يدٌ؟ إذا قلت: بأنّ له يداً، فقد شبّهت أي دخلت في التّجسيم وصرت من المُشبِّهة، وإذا قلت: ليس له يدٌ، فقد عطّلت أي صرت من المُعطِّلة، وهنا في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ إذا قلت: الاستواء هو استتبابٌ للمُلك، والعرش نوعٌ من سرير الملك، فقد شبّهت، وإذا قلت: إنّ المقصود هو القوّة والقدرة وتمام الأمر، فقد عطّلت، والقرآن الكريم بيّن لنا الأمر بكلّ بساطةٍ وسهولةٍ حتّى لا ندخل في التّشبيه ولا في التّعطيل، ونأتي إلى صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فكلّ صفةٍ من صفاته ننفي عنها التّعطيل والتّشبيه، نقول: بأنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليمٌ، ولكن ليس كعلمنا، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حيٌّ ولكن: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشّورى: من الآية ١١]، وهذه الآيات نسمّيها الآيات المتشابهات، لا يعلم تأويلها إلّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والرّاسخون في العلم قالوا: نؤمن بأنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ليس كمثله شيءٌ، فكلّما مرّت بنا آيةٌ تتعلّق بالاستواء على العرش أو باليد أو بالعين أو بصفةٍ من صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ كما ورد في القرآن الكريم، وكلّ ما خطر ببالك فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بخلاف ذلك، فطالما أنّ الاستواء والعرش خطرا ببالك فإذاً الأمر غيره.

﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾: أي أنّهما متتابعان، اللّيل يدخل في النّهار، والنّهار يدخل في اللّيل، ومعنى: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ أنّ الأرض كرويّةٌ؛ لأنّه لا يمكن تناوب اللّيل والنّهار إلّا إذا كانت الأرض كرويّةً.

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾: هذا التّسخير الكونيّ

من عطاءات الله ﷻ.

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾: هناك أمرٌ تشريعيٌّ وأمر كونيٌّ، الأمر الكونيّ هو الأمر الّذي لا يستطيع أحدٌ أن يتخلّف عنه، أمّا الأمر التّشريعيّ فالإنسان مخيّرٌ في فعله أو تركه، وهنا الأمر الكونيّ لا يتخلّف، بتعاقب اللّيل والنّهار، والشّمس والقمر والنّجوم.. كلّ ذلك مسخّرٌ للإنسان بالأمر الكونيّ الّذي لا يستطيع أحدٌ أن يردّه، ولا أن يقول في لحظةٍ من اللّحظات: يا شّمس لا تشرقي.

﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾: تقدّس وتنزّه ﷻ.

﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾: المعطي والمنعم للإنسان.

(الآية ٥٥) - ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝٥٥﴾:

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾: يبيّن المولى ﷻ للإنسان قيمة وطريقة وأسلوب الدّعاء، والدّعاء: هو استحضار العجز وقدرة الرّبّ ﷻ، أي استحضار عجزك وقدرة ربّك وانكسارك أمام هذا الطّلب، حتّى يكون الدّعاء أبعد عن الرّياء قال ﷻ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾: أي توجّهوا إلى ربّكم، ﴿تَضَرُّعًا﴾: أي خشوعاً وانكساراً؛ لأنّ الخشوع والانكسار في الدّعاء يؤدّي إلى استجابة الطّلب، ﴿وَخُفْيَةً﴾: أي بشكلٍ خفيٍّ، وقد ورد في القرآن الكريم بأنّ زكريّا عليه السلام دعا ربّه ﷻ دعاءً خفيّاً: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤﴾ [مريم]، والله ﷻ يسمع السّرّ وأخفى، وهناك آدابٌ للدّعاء، منها: ألّا يكون هناك اعتداءٌ لا في

الطّلب ولا المطلوب، فأنت في طريقة الطّلب يجب ألّا تصرخ، وألّا تؤذي أحداً، أو تُشعر أحداً بطلبك من ربّك، وذلك أدعى للاستجابة كما بيّن الله ﷻ هنا.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾: الاعتداء يكون إمّا في الطّلب أو في المطلوب، كأن تطلب حراماً، أو تطلب ما لا ينفعك، والله ﷻ يعلم الغيب وما يصلح لك وما يضرّك، لذلك قال ﷻ: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ۝١١﴾ [الإسراء]، أي أنّ الإنسان يستعجل الخير، وهو يدعو حقيقةً بالشّرّ لنفسه؛ لأنّه لا يعلم أنّ مطلوب هذا الدّعاء قد يعود عليه بالشّرّ.

(الآية ٥٦) – ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾:

مرّ بنا أنّ الدّعاء يجب أن يكون تضرّعاً وخفيةً، وقد ورد هنا بأن يكون أيضاً خوفاً وطمعاً، خوفاً من صفات جبروته وطمعاً في صفات غفرانه، تبيّن معنا أسلوب الدّعاء وبينهما قوله ﷻ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾، والفساد عنوانٌ كبيرٌ، جاء الرّسل الكرام ليمنعوه في الأرض، فالله ﷻ خلق الأرض وفيها مقوّمات حياة الإنسان، قال ﷻ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٤١﴾ [الرّوم]، ولكنّ الإنسان يُفسد البيئة بالتّلوّث، ويفسد البحار، وطبقة الأوزون، ويفسد العلاقات الاجتماعيّة بالقطيعة والنّميمة والحقد

والبغض والحسد..، بالإضافة إلى الفساد الماليّ والاجتماعيّ والأخلاقيّ الّذي هو على رأس الفساد، فالفساد الأخلاقيّ أن يعيش الإنسان في حياته معوّجاً يزني ويسرق ويرتكب الموبقات والفحشاء.. عندما تحدّث الله ﷻ عن الدّعاء، فهناك شروطٌ حتّى يستجيب المولى ﷻ لدعائك، منها أن يكون مطعمك ومشربك حلالاً، وقد ذكر النّبيّ ﷺ: «**الرّجل يطيل السّفر أشعث أغبر يمدّ يديه إلى السّماء: يا ربّ يا ربّ، ومطعمه حرامٌ ومشربه حرامٌ وملبسه حرامٌ وغذّي بالحرام فأنّى يستجاب لذلك؟**»[1]، أنّى: أي كيف، فالفساد يمنع استجابة الله ﷻ للدّعاء.

﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: من هو المحسن؟ عندما سئل النّبيّ ﷺ عن الإحسان قال: «**أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك**»[2]، العبادة هي الطّاعة وامتثال أمر الله ﷻ، ويقول ﷻ عن صفات المحسنين: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ۝١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ۝١٨ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ۝١٩﴾ [الذّاريات]، فرحمة الله ﷻ ستكون قريبةً من المحسنين، لكنّ الملفت للنّظر أنّ الآية جاءت: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾،

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الزّكاة، باب قبول الصّدقة من الكسب الطّيّب، الحديث رقم (١٠١٥).

(٢) صحيح البخاريّ: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل عليه السلام النّبيّ ﷺ عن الإيمان والإسلام، الحديث رقم (٥٠).

ونعتقد أنّها ستكون: (قريبةٌ)، وهناك سببان لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿قَرِيبٌ﴾: الأوّل: أنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قريبٌ من المحسنين، فهي عائدة على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والثّاني: بأنّ ﴿قَرِيبٌ﴾ على وزن فعيل، ووزن فعيل في اللّغة يتساوى فيه المذكّر والمؤنّث، مثلاً: كلمة (قتيل)، تقول عن المرأة: قتيل، وتقول عن الرّجل: قتيل، فقتيل على وزن فعيل.

إنّ عطاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وتجاوزه عن السّيّئات ورحمته قريبةٌ من المحسنين، فرحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تغشاك، وطالما أنّها تغشاك فسيستجاب دعاؤك، والدّعاء هو العبادة كما قال النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذاً علينا بالدّعاء والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تكفّل بالاستجابة، فإذا دعا العبد يدعو تضرّعاً وخفيةً، بخشوعٍ وانكسارٍ، وخوفاً من غضب الله عَزَّ وَجَلَّ وطمعاً في رحمته جَلَّ جَلَالُهُ، هذه هي شروط الدّعاء الّتي وردت في القرآن الكريم.

(الآية ٥٧) - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٥٧﴾:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾: بشكلٍ عامٍّ عندما تأتي كلمة (ريح) في القرآن الكريم أي فيها ضررٌ، كقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦﴾ [الحاقّة]، أمّا عندما تأتي كلمة (رياح) أي فيها خيرٌ، ولها فوائد متعدّدةٌ، أوّلاً إهاجة الهواء في الكون، والتّلوث يفسد الأجواء إذاً تحريك الهواء هو من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثانيّاً تكوين الأمطار، فالرّياح هي الّتي تحمل السّحاب.

﴿بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾: من رحمات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وتُبشّر بالخير.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا﴾: أي حملت سحاباً محمّلاً بالمطر.

﴿سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾: البلد الميّت الّذي لا حراك فيه ولا نبات.

﴿فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ﴾: من أنواع الثّمرات كلّها بماءٍ واحدٍ.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: دائماً يضرب الله ﷻ الأمثال، فأنت ترى المثل أمامك.

﴿نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾: ضرب هذا المثل الّذي نراه جميعاً فاعتبروا، تذكّروا، انظروا، أبصروا، تعقّلوا، افهموا حتّى تروا أنّ الله ﷻ قادرٌ على إحياء النّاس يوم القيامة وأهون عليه.

(الآية ٥٨) – ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ ٥٨﴾:

﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾: أي الخصب المهيّأ لهطول الأمطار.

﴿يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ﴾: أي سهلاً ميسّراً.

﴿وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗا﴾: بصعوبةٍ.

﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾: نقلّب ونبيّن.

ضرب مثلاً كالبلد الطّيّب المهيّأ تنزل عليه الأمطار فيخرج نباته بإذن ربّه، أمّا النّكد مهما نزل عليه المطر فلا يخرج نباته إلّا بصعوبةٍ بالغةٍ، وكذلك الإنسان الطّيّب الّذي يتقبّل الإيمان تأتيه هداية الدّلالة فيأخذ بهداية المعونة.

﴿لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ﴾: الّذين يشكرون عندما يرون النّعمة، وبالشّكر

تدوم النّعم، وكما قال ﷻ: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾ [إبراهيم: من الآية ٧]، والشّكر هو علامةٌ على إيمان الإنسان؛ لأنّه يشكر نعماء الله ﷻ عليه.

(الآية ٥٩) – ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩﴾:

بدأ الآن القصص القرآنيّ موضّحاً كيف طرأ الكفر على الأمم المتتابعة، فالمولى ﷻ يريد أن يعتبر الإنسان من التّجارب السّابقة؛ لأنّ الّذي لا يقرأ التّاريخ لن يستطيع أن يبني مستقبلاً، فهناك سننٌ مطردةٌ وسننٌ كونيّةٌ تتكرّر، وهذه السّنن هي السنن الاجتماعيّة الّتي تردّ في القصص القرآنيّ، فالقصص القرآنيّ مطابقٌ للواقع ولا يهتمّ بالتّفاصيل كقوله ﷻ: ﴿وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ٢٨﴾ [غافر]، لم يذكر لنا من هو ذلك الرّجل المؤمن، ولم يرد إلّا ذكر الأنبياء فقط؛ لأنّهم قادة البشريّة، والشّخصيّات الّتي تأتي في الأحداث تكون مبهمةً، حتّى لا نترك العبرة ونلحق الحدث، ولا توجد قصّةٌ متكاملةٌ في القرآن الكريم إلّا قصّة سيدنا يوسف عليه السلام جاءت كاملةً في سورةٍ واحدةٍ، أمّا بقيّة القصص مثل قصّة سيدنا نوح عليه السلام نجد في سورة (الأعراف) الحديث عن نوح عليه السلام، وهناك سورةٌ اسمها سورة (نوح) فيها حديثٌ عن سيّدنا نوح عليه السلام، لكن التّفصيل الأكبر عن نوح عليه السلام نجده في سورة (هود)، وهكذا.. فالقصّة تأتي

على مقاطع تخدم السّياق القرآنيّ، ليس تكراراً بل أسراراً، فنحن نقرأ قرآناً وليس كتاباً بشريّاً، والقصص القرآنيّ يختلف قطعاً عن القصص البشريّ.

بدأت سورة (الأعراف) بقصّة نوح عليه السلام؛ لأنّ فيها أوّل إهلاكٍ حدث للبشريّة بعد كفرهم.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾: عندما يبدأ الله سبحانه وتعالى بـ: ﴿لَقَدْ﴾ فهو قسمٌ، وعزّتي وجلالي لقد أرسلت نوحاً إلى قومه، فطلب منهم أموراً ثلاثةً، وكلّ الأنبياء أُرسِلوا بهذه الأمور الثّلاثة:

﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: أوّلاً: عبادة الله عز وجل، والعبادة هي طاعةٌ وعدم مخالفةٍ لأمر الله سبحانه وتعالى.

﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾: ثانيّاً: لا إله غيره جل جلاله، نفى أن يكون له شريكٌ، ليس هناك إلهٌ سواه.

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: بين سيّدنا نوح عليه السلام أنّه يخاف على قومه إن أعرضوا من عذابٍ عظيمٍ، وقدّم لهم النّصح.

(الآية ٦٠) – ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٦٠﴾:

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ﴾: الملأ هم الّذين يملؤون العين، هم عليّة القوم، وهنا الملأ يتمسّكون بالشّهوات والأموال والمكانة الّتي يعتلونها في المجتمع، ويتصدّون للأنبياء عليهم السلام.

﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: حكموا مباشرةً أنّه بعيدٌ عن الهداية، وهذا كلامٌ فارغٌ.

(الآية ٦١) - ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١﴾:

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ﴾: أي ليس بي أيّ ضلالةٍ.

﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: إنّما أنا مرسَلٌ من ربّكم ربّ العالمين جميعاً، وأحمل رسالةً أن اعبدوا الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له فليس هناك إلهٌ غيره، وأبين لكم الحلال والحرام.

(الآية ٦٢) - ﴿أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٢﴾:

﴿أُبَلِّغُكُمۡ﴾: البلاغ: ما يُتوَصّل به إلى الغاية.

﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾: لم يقل: رسالة ربي؛ لأنّها رسالاتٌ كثيرةٌ، أو أنّ الرّسالة الواحدة هي الرّسالات السّماويّة كلّها، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿۞شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾[الشورى]، أو أنّ: ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ أي في كلّ أمرٍ وفي كلّ نهيٍ رسالةٌ من ربّ العالمين للإنسان، وفي كلّ خبرٍ وقصّةٍ تأتي في الكتاب الّذي أرسل به هذا النّبيّ الكريم.

﴿وَأَنصَحُ لَكُمۡ﴾: هو يخاف عليهم ويؤدّي النّصح.

﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾: أعلم ما لا تعلمون؛ لأنّي رسولٌ منبّأٌ من الله سبحانه وتعالى، فأعلم ما سيحلّ بكم، وأنّ هناك طوفاناً إن لم تستجيبوا، وقد

جاء في الآيات الأخرى في سورة (هود) قوله ﷻ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن
يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ (٣٦) وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٣٧) وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ
مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨)
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٣٩) حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ
ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ
ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠) ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ
إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (٤١) وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى
مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٤٢) قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ
قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ (٤٣)
وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى
ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٤)﴾ [هود]، وفي سورة (نوح) قال ﷻ: ﴿إِنَّآ
أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ
مُّبِينٌ (٢) أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ
مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤) قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا (٥)
فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا (٦)﴾ [نوح]، كلّ لقطةٍ تناسب السّورة الّتي فيها.

(الآية ٦٣) - ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣)﴾:

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: هل تنكرون وتتعجبون أنه

جاء ذكرٌ من ربّكم، والذّكر هو أن تتذكّر قال ﷻ: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: من الآية ٢٤]، ويُطلق الذّكر أيضاً على القرآن الكريم، قال ﷻ: ﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٥٠﴾ [الأنبياء].

﴿عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ﴾: دائماً يكون الرّسول من قومه حتّى يكون بيّناً واضحاً، قال ﷻ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ﴾ [الكهف: من الآية ١١٠]، هكذا قال النّبيّ ﷺ لقومه.

﴿لِيُنذِرَكُمۡ﴾: أوّلاً إنذار.

﴿وَلِتَتَّقُواْ﴾: ويأمرهم بالتّقوى، والتّقوى هي جماع الخير، وهي العمل بالتّنزيل والرّضا بالقليل والاستعداد ليوم الرّحيل.

﴿وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾: فبسبب التّقوى تتنزّل رحمات الله تبارك وتعالى عليكم.

(الآية ٦٤) – ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ ٦٤﴾:

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: ومع كلّ هذه الأمور كذّبوه.

﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ﴾: العمى: هو عمى البصيرة وليس عمى البصر.

انتهت اللّقطة الّتي تتعلّق بسيّدنا نوح عليه السلام، أمّا بقيّة التّفاصيل الّتي ستتحدّث عن الإغراق وما جرى سنجدها في سورٍ أخرى، فالسّياق هنا فقط لمواكب الرّسل الكرام عليهم السلام.

(الآية ٦٥) – ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾:

عند ذكر قصّة نوحٍ عليه السلام قال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾، وهنا قال سبحانه وتعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ أي لقد أرسلنا إلى عادٍ أخاهم هوداً، ﴿أَخَاهُمْ﴾: أي من جنسهم، لغته من لغتهم، يأنسون به ويعرفون عنه كلّ شيءٍ، والله سبحانه وتعالى يرسل الرّسل من جنس أقوامهم حتّى تكون حياتهم واضحةً جليّةً كصفحةٍ مفتوحةٍ أمام القوم، فإذا ما كذّبوهم يكون هذا التّكذيب واضحاً تماماً؛ لأنّهم عهدوا هذا الرّسول الّذي كان معهم وقد شهدوا مولده وحياته وشبابه وأمانته وعفّته وصدقه وإخلاصه...

سيّدنا هود عليه السلام جاء إلى قوم عادٍ الّذين جاء ذكرهم في مقاطعَ أخرى في القرآن الكريم.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: كلّ رسولٍ يكرّر الرّسالة ذاتها، وهي عبادة المولى سبحانه وتعالى، والعبادة تعني الطّاعة.

﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾: أي لا إله إلّا الله عزّ وجلّ.

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: وثالثاً المطلوب التّقوى والنّصح للقوم.

لماذا قال هنا: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ﴾، كلمة: ﴿قَالَ﴾ بلا فاء، بينما عند ذكر قصّة نوح قال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ﴾، يوجد فاءٌ: ﴿فَقَالَ﴾؟ الجواب: الفاء للتّعقيب، فالفترة الزّمنيّة الّتي بقي فيها نوحُ عليه السلام يدعو القوم هي أكثر من تسعمئةٍ وخمسين سنةً كما ورد في القرآن الكريم،

أي يوجد تكرارٌ في الدّعوة واستمرارٌ في فترةٍ زمنيّةٍ طويلةٍ، ﴿فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦﴾[نوح]، أمّا هود عليه السلام فقد قال لهم مرّةً أو مرّتين أو ثلاث مرّات، ولم يكن هناك فترةٌ زمنيّةٌ طويلةٌ، الفرق الثّاني: أنّ هوداً قال لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٦٥﴾، بينما نوح عليه السلام قال لقومه: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾؛ لأنّ نوحاً عليه السلام كان يعلم من الله سبحانه وتعالى ما لا يعلمون، فقد كان يعلم أنّ هناك عذاباً سيأتي، وهذا العذاب هو أوّل عذابٍ للبشريّة بعد خروجهم عن الإيمان بعد آدم عليه السلام، أمّا هود فلم يكن يعلم، لذلك قال: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، المطلوب التّقوى، وهي مطلوب الأنبياء كلّهم؛ لأنّ التّقوى هي العمل بالتّنزيل والخوف من الجليل والرّضا بالقليل والاستعداد ليوم الرّحيل.

(الآية ٦٦) - ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٦٦﴾:

قالوا لهودٍ عليه السلام، لكن ما الفارق بين هذه الآية وبين ما قاله قوم نوحٍ؟ ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ﴾، قلنا: الملأ هم الّذين يملؤون العيون، وهم أشراف القوم ووجوههم، وهنا أضاف: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ لوجود إيمانٍ قبلهم من أيّام سيّدنا نوح عليه السلام، بينما سيّدنا نوح عليه السلام كان يدعو ولا يؤمن أحدٌ.

﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ﴾: هناك قالوا لسيّدنا نوح عليه السلام: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾، ما الفارق بينهما؟ الضّلال: الباطل ومجانبة الحقّ، أي نراك مجانباً للحقّ، أمّا السّفاهة فهي طيشٌ وجهلٌ، فهم قالوا لهود عليه السلام: إنّك

طائشٌ وجاهلٌ.

﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾: أي نعتقد أنّك كاذب.

(الآية ٦٧) – ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦٧﴾:

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ﴾: هذا جواب النّبي هود عليه السلام لقومه، قال لهم: لست طائشاً ولا جاهلاً، ولكنّني مكلّفٌ من ربّكم بتبليغ رسالته إليكم.

(الآية ٦٨) – ﴿أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ۝٦٨﴾:

هنا قال على لسان هود عليه السلام: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ۝٦٨﴾، بينما عند ذكر قصّة سيّدنا نوح عليه السلام قال: ﴿أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ﴾، وناصحٌ: والاسم يدلّ على الثّبات، أمّا أنصح فهو فعلٌ يدلّ على التّكرار؛ لأنّ نوحاً عليه السلام كما أخبرنا سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ۝١٤﴾ [العنكبوت].

(الآية ٦٩) – ﴿أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٦٩﴾:

﴿أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾: يُقصد بالذّكر الرّسالة الّتي جاء بها هود عليه السلام.

﴿لِيُنذِرَكُمۡ﴾: فوظيفة كلّ رسولٍ البشارة والإنذار، ينذر من النّار ويبّشر بالجنّة.

﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ﴾: إذاً أقرب قومٍ لنوحٍ عليه السلام هم قوم عاد.

﴿وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗ﴾: هنا دخل أمرٌ جديدٌ فيما يتعلّق بجمال قوم هود، فقد أخبر سبحانه وتعالى أنّه زادهم في الخلق بسطةً، قيل: الطّويل منهم كان مئة ذراعٍ، والقصير كان ستّين ذراعاً، فقد كانوا خلقاً عظاماً طوالاً.

﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾: فاذكروا نعم الله سبحانه وتعالى عليكم.

﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾: الفلاح هو النّجاح.

(الآية ٧٠) - ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧٠﴾:

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾: هم يريدون أن يعبدوا ما وجدوا عليه آباءهم، وهذا هو التّقليد الأعمى الّذي يتوارثه الأبناء عن الآباء من غير علمٍ ولا درايةٍ، وقد حارب القرآن الكريم التّقليد الأعمى.

﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: فقد كان يعدهم نبيّهم بالعذاب إن أعرضوا عن دعوة الحقّ.

(الآية ٧١) - ﴿قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٧١﴾:

﴿قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ﴾: وقع: فعلٌ

ماضٍ، الله سبحانه وتعالى وعد بأنّه سيقع عليهم، وهو لم يقع بعد، بل كأنّه وقع، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النّحل: من الآية ١]، كيف يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَتَىٰٓ﴾، ويقول بعدها: ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾؟ الجواب: لأنّ الله سبحانه وتعالى بمجرّد أنّه وعد فقد تحقّق ما وعد به، لذلك عندما قال سيّدنا هود عليه السلام هنا: ﴿قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ﴾، هو لم يقع بعد، لكنّ وعد الله تبارك وتعالى واقعٌ لا محالة إذا لم تؤمنوا وتعبدوا الله سبحانه وتعالى.

﴿رِجۡسٞ﴾: من القذارة.

﴿وَغَضَبٌۖ﴾: غضبٌ من الله سبحانه وتعالى عليكم.

﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ﴾: تمارون وتماحكون وتجادلون في أسماء سمّيتموها أنتم وآباؤكم للآلهة.

﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ﴾: سلطانٌ: أي دليلٌ، فليس هناك أيّ دليلٍ على ما تقولون.

﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾: ستجدون ما وعدتكم به من عذابٍ.

(الآية ٧٢) - ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ٧٢﴾:

عندما رفضوا الإيمان أصابهم قحطٌ شديدٌ، فجاءت غيمةٌ سوداء عظيمةٌ فوق أرضهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٤ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا

﴿فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٥﴾ [الأحقاف]، فإذ بهذه الغيمة السّوداء فيها ريحٌ عظيمةٌ وريحٌ صرصرٌ عاتيةٌ، ووقع عليهم العذاب من ربّهم فلا يرى إلّا مساكنهم، ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾، نجّى الله ﷻ هوداً والّذين آمنوا معه برحمةٍ منه ﷻ.

﴿وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: قُطع دابرهم: أي قطع وجودهم ونسلهم، وانقطعوا عن هذه الحياة الدّنيا.

(الآية ٧٣) - ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٣﴾:

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ﴾: الرّسالات كلّها جاءت بالأوامر ذاتها: عبادة الله ﷻ وطاعته وأنّه لا إله غيره جلّ جلاله.

﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ﴾: هنا يوجد قضيّةٌ جديدةٌ، وهي البيّنة أي المعجزة، وهي الدّليل على صدق بلاغ صالحٍ عليه السلام عن الله ﷻ.

﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ﴾: كما ورد في التّفاسير بأنّ القوم حاجّوا صالحاً عليه السلام وناقشوه كثيراً، أصبحوا يدعون آلهتهم، ويقولون: ادع أنت إلهك حتّى يخرج لنا كذا، وعندما دعا خرجت ناقةٌ من صخرةٍ كبيرةٍ.

﴿فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ﴾: دعوها تأكل في أرض الله عزّ وجلّ.

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: إيّاكم أن تمسّوها بأيّ

سوءٍ، وكانت هذه النّاقة كما أخبر سبحانه وتعالى في آيةٍ أخرى: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرۡبٌ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٍ مَّعۡلُومٍ ١٥٥﴾ [الشّعراء]، أي البئر أو المكان الّذي يشربون منه، كانت النّاقة لها يومٌ واحدٌ تشرب منه وهم لا يشربون، وهم يشربون في اليوم الآخر.

(الآية ٧٤) – ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٧٤﴾:

﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ﴾: ثمود جاؤوا بعد قوم عاد.

﴿وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: أنزلكم وأسكنكم.

﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ﴾: تقدّمٌ عمرانيٌّ هائلٌ، ينحتون الصّخر ويبنون فيه البيوت، فيصعدون في الشّتاء إلى هذه البيوت، وفي السّهول تكون لهم القصور.

﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾: فاذكروا نعم الله سبحانه وتعالى عليكم.

﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾: عاث: أتى بأشدّ الفساد، أي لا تكثروا الفساد في الأرض.

(الآية ٧٥) – ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ٧٥﴾:

﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ﴾: الّذين يملؤون المجالس، أشراف القوم الّذين استكبروا.

﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ﴾: للّذين استضعفوا وآمنوا.

﴿أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾: هل تعلمون أنّه مرسلٌ من ربّه؟

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾: أجابهم الضّعفاء: بأنّنا مؤمنون.

(الآية ٧٦) – ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٧٦﴾:

أمّا الّذين استكبروا فكان جوابهم: ﴿إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾، كافرون بما تؤمنون به، وبإله صالحٍ عليه السلام، وبكلّ ما جاء به.

(الآية ٧٧) – ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧٧﴾:

﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ﴾: عقر النّوق هو ذبحها.

﴿وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ﴾: استكبروا وعتوا عن أمر الله سبحانه وتعالى وعقروا النّاقة الّتي أخرجها لهم صالحٌ عليه السلام كآيةٍ وبيّنةٍ، وكان قد هدّدهم قائلاً: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

﴿وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾: ذبحوا النّاقة وقالوا: افعل ما تريد فعله، استهزاءً منهم بما وعدهم به من العذاب.

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾: أي من الصّادقين.

(الآية ٧٨) – ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٧٨﴾:

﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾: الرّجفة: الزّلزلة الشّديدة، وتسمّى الطّاغية، قال

تبارك وتعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥﴾ [الحاقّة].

﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾: الجاثم: هو من لزم مكانه وثبت فيه، جاءهم الرّجفة فثبتوا في أماكنهم، مَن كان قائماً بقي قائماً، ومَن كان مستلقياً بقي مستلقياً.

(الآية ٧٩) – ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٧٩﴾:

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ﴾: تركهم.

﴿وَقَالَ يَٰقَوۡمِ﴾: كيف يخاطبهم وقد هلكوا؟! جاء في البخاريّ: اطّلع النّبيّ ﷺ على أهل القليب فقال: «**وجدتم ما وعد ربّكم حقاً؟**»، فقيل له: تدعو أمواتاً؟ فقال: «**ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون**»[1]، فبعد أن تولّى عنهم صالحٌ عليه السلام التفت عليهم وكانوا جاثمين كلّهم من الرّجفة فقال: ﴿لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ﴾: لماذا جاءت هنا: ﴿رِسَالَةَ﴾ بالإفراد، بينما باقي الرّسل قالوا: ﴿رِسَٰلَٰتِ﴾؟ الجواب؛ لأنّ الرّسالة الواحدة تشمل الرّسالات كلّها، لقد أبلغتكم رسالة ربّي. وهنا انتهى المقطع وستأتي مقاطع أخرى في سورٍ أخرى تتعلّق بصالح عليه السلام والنّاقة والرّجفة، وبأصحاب الحِجر أي قبيلة ثمود، الّذين قال عنهم سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ۝٨٢﴾ [الحجر]، فهذه الأمور بقيت شاهدةً عليهم وعلى التّطوّر الحضاريّ والعمرانيّ الّذي كان في ذلك الوقت.

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، الحديث رقم (١٣٠٤).

(الآية ٨٠) – ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠﴾:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾: لم يقل: أخاهم لوطاً، والقرآن الكريم كل حرفٍ فيه وكلّ كلمةٍ وكلّ إشارةٍ إعرابيّةٍ باختلافها يختلف المعنى، وهذا لا يوجد إلّا في كتاب الله ﷻ؛ لأنّه من لدن ربٍّ حكيمٍ ﷻ. فهنا يتبيّن أنّ لوطاً عليه السلام لم يكن من هؤلاء القوم، وإنّما جاء مع إبراهيم –عليهما السّلام– من طور سيناء إلى منطقة شاطئ الفرات، وبقي معهم فترةً في هذه المنطقة فأصبحوا يعرفونه، وأصبح يعرف كلّ شيءٍ عنهم من عاداتٍ وتقاليد، وكلّ ما يجري في هذه القرية.

ولقد جاءت كلمة: (لوطاً) منصوبةً؛ لأنّها معطوفةٌ على قوله ﷻ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ فلقد أرسلنا نوحاً وصالحاً وهوداً، لذلك جاءت (لوط) هنا منصوبة على ما سبق.

﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾: ماذا قال لهم؟ لم يقل: إنّ الله ﷻ بلّغني لأبلّغكم أنّ عليكم الطّاعة وعدم المعصية وأنّه لا إله إلّا الله، وإنّما مباشرةً جاء إلى أصعب وأقذر قضيّةٍ، الّتي تشمئزّ منها الفطرة والنّفوس السّليمة، وهنا خاطبهم باستفهامٍ استنكاريٍّ: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فهي عمليّةٌ مستقذرةٌ مضادّةٌ للفطرة، والفاحشة هنا هي العمليّة الجنسيّة الشّاذّة.

﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: بعضهم يقول: إنّ ﴿مِنْ﴾

حرفٌ زائدٌ، ولكن لا يوجد في كلام الله ﷻ كلمةٌ زائدةٌ، فكلّ حرفٍ له معنى وله دلالةٌ ووظيفةٌ، هنا يبيّن ﷻ على لسان لوطٍ لهؤلاء القوم أنّهم أوّل قومٍ على وجه الأرض ارتكبوا هذا الفعل الفاحش القبيح المنكر المخالف للطّبيعة والفطرة البشريّة، ونضرب مثالاً للتّوضيح: إذا جاءك إنسانٌ وقال: ما عندي مالٌ، فقد يملك بعضاً منه، أمّا إن قال لك: ما عندي من مالٍ، أي لا يوجد معه مالٌ على الإطلاق، ولا حتّى القليل منه، وهنا قوله: ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ أي لا يوجد أحدٌ في العالم كلّه جاء بهذا الفاحشة القذرة قبلكم.

(الآية ٨١) – ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (٨١)﴾:

بيّن لوط عليه السلام هذه الفاحشة: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ﴾ هي العمليّة الشّاذّة، فالشّهوة وضعها الله ﷻ موضع الحلال للإنجاب وللشّهوة بين الرّجل والمرأة، وما سوى ذلك فإنّه شذوذٌ عن الفطرة وعن الأخلاق وعن القيم وعن الدّين وعن كلّ شيءٍ كما ورد في كتاب الله ﷻ في هذه القصّة الّتي يرويها لنا المولى ﷻ.

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: الإسراف هو تجاوز الحدّ، أي تجاوزتم حدود القيم والأخلاق والنّفس السّويّة.

(الآية ٨٢) – ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢)﴾:

التّطهّر هو الترّفّع عن الرّجس والسّوء، فمثلاً: عندما يكون مجموعةٌ من الشّبان يلعبون القمار ويأتون الفواحش، فيأتيهم شخصٌ آخر ويقول لهم: هذه أمورٌ حرامٌ لا تجوز ولا تتوافق مع الأخلاق، فيبعدونه عنهم قائلين فيه: بأنّه ليس منهم، وأنّه يتطّهر، فكان جواب القوم لسيّدنا لوط عليه السلام: أخرجوه من هذه القرية هو والّذين معه، أي الّذين آمنوا وأنكروا هذه الفاحشة، ونجد هنا أنّ الله سبحانه وتعالى لم يتحدّث عن عبادته وعن التّقوى كما جرى مع الأنبياء السّابقين عليهم السلام، أراد سبحانه وتعالى في هذه السّورة أن يلقي الضّوء على الفاحشة الفظيعة الّتي كان يفعلها قوم لوط، فنجد أنّ الحوار الّذي تمّ ما بين لوط عليه السلام وقومه هو حوارٌ واحدٌ حول هذه الفاحشة.

(الآية ٨٣) - ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾:

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾: إذاً حدثت معجزةٌ لم يتحدّث عنها المولى سبحانه وتعالى هنا بالتّفصيل، وكلمة: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾، إذاً يوجد عذابٌ وقع حتّى أنجاه الله تبارك وتعالى.

﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: غبر: بقي؛ أي بقيت في مكانها الّذي كانت موجودةً فيه مع من بقوا في ديارهم فأطاح بها العذاب العظيم الّذي حلّ بقومها.

وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التّحريم]، هذا بيانٌ بأنّ العقيدة محميّةٌ

بالاختيار، فلا يوجد إنسانٌ على وجه الأرض يمكن أن يُجبر على الإيمان أو على الكفر، والدّليل امرأة لوطٍ وامرأة نوحٍ، كانتا زوجتي نبيّين؛ نوحٍ ولوطٍ عليهما السّلام، ومع ذلك لم تؤمنا، فزوجة نوحٍ أُغرقت، وزوجة لوطٍ قضي عليها بالحجارة وبانقلاب القرية بكاملها، أمّا زوجة مدّعي الرّبوبيّة فرعون فكانت مؤمنةً: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١١﴾ [التّحريم].

(الآية ٨٤) - ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٨٤﴾:

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾: بالتّأكيد ليس مطراً طبيعيّاً وإنّما مطرٌ من حجارةٍ من سجيلٍ، هذا المطر بيّنه الله ﷻ في سورٍ أخرى، قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۝٨٢﴾ [هود]، قلب الله ﷻ القرية كلّها وأمطر عليهم حجارةً من سجيلٍ.

﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: أي تأمّلوا واعتبروا ممّا جرى لهؤلاء القوم الّذين يفعلون هذه الفاحشة.

(الآية ٨٥) - ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨٥﴾:

﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ﴾: مدين هو اسمٌ لأحد أبناء سيّدنا إبراهيم عليه السلام، خرج من طور سيناء حتّى شاطئ الفرات، وهناك تزوّج وبنى قبيلةً وأصبحت هذه القبيلة يطلق عليها اسم مدين، وأصبحت البلدة بعد فترةٍ من الزّمن اسمها مدين.

﴿أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا﴾: النّبيّ شعيب عليه السلام، ﴿أَخَاهُمۡ﴾: أي أنّه منهم، يعيش معهم ويرونه ويرون حياته وكلّ شيءٍ أمامهم واضحٌ.

ما هو مرض قوم شعيب؟ في كلّ لقطةٍ أو مقطعٍ نجد مرضاً من أمراض الأقوام الّذين أرسل إليهم الأنبياء عليهم السلام؛ فقوم لوطٍ عليه السلام كانوا يفعلون الفاحشة، وقوم صالحٍ عليه السلام كانوا يعبدون الأصنام.. فبحسب المرض يأتي العلاج للدّاء الّذي يكون عند الأقوام.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: عدنا إلى السّياق ذاته، الأنبياء كلّهم جاؤوا برسالةٍ واحدةٍ: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: أي أطيعوا الله سبحانه وتعالى فيما أمر وانتهوا عمّا نهى عنه وزجر.

﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾: هي الدّعوة إلى التّوحيد، لا إله إلّا الله.

﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ﴾: لم يبيّن شعيبٌ ما هذه البيّنة؟ هل هي معجزةٌ، أو أنّها الرّسالة الّتي جاء بها؟

﴿فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ﴾: جاء بعدها بأربعة أمور:

- الأمر الأوّل: قال: ﴿فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾ فقد كانوا

يبخسون الكيل والميزان، وقد قال ﷻ: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [المطفّفين]، جعل المولى ﷻ من أهمّ أهداف الرّسالات السّماويّة حفظ الحقوق الماديّة، ومنها الإيفاء بالكيل والميزان، فعندما يأمرك الله ﷻ أن توفي الكيل والميزان فقد أمر النّاس كلّهم أن يوفوا معك الكيل والميزان.

- الأمر الثّاني: ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾: ليس فقط إيفاء الكيل والميزان، لكن أيضاً عدم الاحتيال وعدم الرّشوة وعدم السّرقة...

- الأمر الثّالث: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ﴾: بشكلٍ عامٍّ لا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها؛ لأنّ الله ﷻ خلق كلّ شيءٍ صالحاً، والفساد إنّما جاء من عند الإنسان، فالهواء صالحٌ يفسده الإنسان بالدّخان، والماء صالحٌ يفسده بالقاذورات... قال ﷻ: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١﴾ [الرّوم]، رسالة شعيبٍ رسالةٌ تتعلّق بإيفاء الكيل والميزان وعدم الفساد في الأرض وعدم بخس النّاس أشياءهم، إذاً تتعلّق بالأمر الماديّ، ونحن نجد أنّ القرآن الكريم بيّن في سورٍ أخرى أنّ موضوع المال من أهمّ وأخطر المواضيع الّتي تتعلّق بالإنسان، قال ﷻ: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ ﴿٢٧﴾

[الأنفال].

ليست القضيّة أن تصلّي مئات الرّكعات، ولا أن تتصدّق على الفقراء والمساكين، ولا أن تصوم الإثنين والخميس، ولا أن تحجّ كلّ عامٍ، لكنّ القضيّة عندما تتعامل بالدّرهم والدّينار، عندما تتعامل بحقوق النّاس، لذلك نهى رسول الله ﷺ أن يعلّق المؤمن قلبه بالمال والمتاع والرّفاهيّات، فقال: «**تعس عبد الدّينار، تعس عبد الدّرهم، تعس عبد الخميصة، إن أُعطِي رضي، وإن مُنِع سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش**»[1]، عندما يقول ﷺ: «**تعس وانتكس**»، أي انتكست كلّ أموره ورجعت إلى الوراء، «**وإذا شيك فلا انتقش**»، أي حتّى إذا دخلت فيه شوكةٌ فلا شُفي منها، وهذا دعاء النّبيّ ﷺ على آكلي حقوق النّاس وعلى جامعي الأموال، القضيّة قضيّة حقوق النّاس، هذه حقيقة ووظيفة الإيمان، فقد تقول لشخصٍ: صلّ ألف ركعةٍ فيكون أهون عليه من أن يدفع ألف ليرةٍ، لذلك قال النّبيّ ﷺ: «**والصّلاة نورٌ والصّدقة برهانٌ**»[2]، أي تبرهن على الإيمان.

﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: لأنّه يؤدّي إلى خيري الدّنيا والآخرة، إشاعة الخير والعدل في المجتمع.

- الأمر الرّابع: في الآية الآتية:

---

(١) المعجم الأوسط للطّبرانيّ: ج٣، باب من اسمه إبراهيم، الحديث رقم (٢٥٩٥).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الطّهارة، باب فضل الوضوء، الحديث رقم (٢٢٣).

(الآية ٨٦) – ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾:

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾: عندما يقول لهم سيّدنا شعيب هنا: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا﴾، نتذكّر أنّ إبليس قال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف: من الآية ١٦]، أي لا تكونوا شياطيناً، فالإنسان يصبح شيطاناً إذا صدّ ومنع عن سبيل الله ﷻ وأراد منهجه جلّ وعلا معوجّاً، كمن يقول: إنّ الرّبا والخمر حلالٌ.

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾: لأنّ قوم مدين كانوا قلّةً، ثمّ كثّرهم الله ﷻ.

﴿وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾: أي اعتبروا كيف كان عاقبة المفسدين، كانت قرى لوطٍ قريبةً منكم، ماذا جرى لهم، وماذا جرى لقوم صالحٍ وقوم هودٍ وقوم نوحٍ؟!.

(الآية ٨٧) – ﴿وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾:

﴿وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ﴾: يوجد طائفةٌ من أهل مدين آمنت مع شعيبٍ عليه السلام.

﴿وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا﴾: لماذا يصبروا؟

﴿حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَا﴾: أي حتّى يفصل الله ﷻ بيننا وبينكم.

﴿بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾: بحكمه، وكأنّه يتوعّدهم بعذابٍ قريبٍ.

❀ ❀ ❀

تَمَّ بِفَضْلِ اللهِ تعالى تَفْسِيرُ الجزْءِ الثَّامن

اللَّهمَّ لَكَ الحمدُ على كلِّ نِعمةٍ أنعمتَ بها علينا في قَديمٍ أو حَديثٍ، أو خاصَّةٍ أو عامَّةٍ، أو سرٍّ أو عَلانية، لكَ الحمدُ بالإسلامِ، ولَكَ الحمدُ بالإيمانِ، ولكَ الحمدُ بالقرآنِ، ولكَ الحمدُ بالمالِ والأهلِ والمعافاةِ.

اللَّهمَّ ارْفَعْنا بالقُرْآنِ في دَرَجِ الجِنَانِ، وارْفَعْ عَنَّا بِفَضْلِهِ الأحْزانَ، وزوِّدْنا بِفَضْلِهِ مِنَ الخَيراتِ الحِسانِ، وَضاعِفْ لَنا الأُجُورَ بِرَحْمَتِكَ وإحْسَانِكَ يا وَاهِبَ المِنَنِ الحِسَانِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنا لِقُرْآنِكَ خَاشِعِينَ، وَبِلَيلِكَ قَائِمِين رَاكِعِينَ سَاجِدِينَ، وَبِعِبَادَتِكَ مُخْلِصِينَ، وَلِحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ ﷺ تابِعينَ، وبِحُبِّكَ وَاصِلِينَ، وَلِجَنَّتِكَ مُسْتَحِقِينَ، وَلِوَجْهِكَ الكَرِيمِ نَاظِرِينَ، يا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ.

سُبحانَ ربِّك رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وسَلامٌ عَلى المُرْسَلِينَ، والحمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين.

❀ ❀ ❀

فهرس

رقم الآية – نصّ الآية **رقم الصّفحة**

تفسير سورة (الأنعام) من الآية: (١١١-١٦٥):

١١١- ﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ ٩

١١٢- ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ ١٠

١١٣- ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ ١٣

١١٤- ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ ١٤

١١٥- ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ ١٥

١١٦- ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ ٢٠

١١٧- ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ١١٧﴾ ٢١
١١٨- ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ١١٨﴾ ٢١
١١٩- ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ
عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ
رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ١١٩﴾ ٢٣
١٢٠- ﴿وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟
يَقْتَرِفُونَ ١٢٠﴾ ٢٥
١٢١- ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ
إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ١٢١﴾ ٢٦
١٢٢- ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى
ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٢٢﴾
.... ٢٧
١٢٣- ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَـٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا
يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ١٢٣﴾ ٢٩
١٢٤- ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ
حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ
بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ١٢٤﴾ ٣٢
١٢٥- ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ
صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ

عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ٣٤

١٢٦- ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾

.... ٣٦

١٢٧- ﴿۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

.... ٣٦

١٢٨- ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ
أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ
قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾

.... ٣٧

١٢٩- ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾

.... ٤٠

١٣٠- ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ
عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ
وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟
كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ ٤٠

١٣١- ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾

.... ٤٣

١٣٢- ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾

.... ٤٤

١٣٣- ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ
بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ١٣٣﴾ ... ٤٥
١٣٤- ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ١٣٤﴾ ٤٧
١٣٥- ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن
تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١٣٥﴾ ٤٧
١٣٦- ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ
بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا
كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ١٣٦﴾ ... ٤٩
١٣٧- ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ
شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ
فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ١٣٧﴾ ٥٠
١٣٨- ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ
حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ
سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ١٣٨﴾ ٥٢
١٣٩- ﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ
أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ
حَكِيمٌ عَلِيمٌ ١٣٩﴾ ٥٢
١٤٠- ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ
ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ١٤٠﴾ ٥٣

١٤١- ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ
مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن
ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ
ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ ٥٤

١٤٢- ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾ ٥٦

١٤٣- ﴿ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ
حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ
صَـٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ ٥٦

١٤٤- ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ
أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ
بِهَـٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ
ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ ٥٧

١٤٥- ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ
دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ
ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ ٥٨

١٤٦- ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا
عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ
جَزَيْنَـٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ ٦٠

١٤٧- ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ
ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٤٧﴾ ٦١

١٤٨- ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن
شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم
مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨﴾ .. ٦١

١٤٩- ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩﴾ ٦٣

١٥٠- ﴿قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا
تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡۚ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ
بِٱلۡأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١٥٠﴾ ٦٤

١٥١- ﴿۞قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ
وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ
وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا
بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١﴾ ٦٥

١٥٢- ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ
وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا
قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ١٥٢﴾
.... ٧١

١٥٣- ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن

سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ ٧٤

١٥٤- ﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ

وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ١٥٤﴾ ٧٥

١٥٥- ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥﴾

.... ٧٨

١٥٦- ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ

لَغَٰفِلِينَ ١٥٦﴾ ٨٠

١٥٧- ﴿أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم

بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ

سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ ١٥٧﴾ .. ٨١

١٥٨- ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي

بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ

قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٥٨﴾ ٨٢

١٥٩- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ

يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ١٥٩﴾ ٨٤

١٦٠- ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ

لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠﴾ ٨٥

١٦١- ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ

ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ ٨٦

١٦٢- ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ ٨٦

١٦٣- ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ ٨٨

١٦٤- ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ
وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾
.... ٨٨

١٦٥- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ
ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴿١٦٥﴾﴾ ٨٩

تفسير سورة (الأعراف) من الآية: (١-٨٧):

١- ﴿الٓمٓصٓ ﴿١﴾﴾ ٩٥

٢- ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ
لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ ٩٨

٣- ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا
تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ ١٠١

٤- ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾﴾ ١٠٢

٥- ﴿فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾ ... ١٠٢

٦- ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ ١٠٣

٧- ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾﴾ ١٠٤

٨- ﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨﴾﴾

.... ١٠٤

٩- ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ ١٠٥

١٠- ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾
.... ١٠٥

١١- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ
إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ ١٠٥

١٢- ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾
.... ١٠٨

١٣- ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾
.... ١٠٨

١٤- ﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾﴾ ١٠٨

١٥- ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ ١٠٨

١٦- ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ ١٠٩

١٧- ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ
شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ ١١٠

١٨- ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾
.... ١١١

١٩- ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ

فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ١١١

٢٠- ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا
رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾
.... ١١٥

٢١- ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ١١٦

٢٢- ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن
وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا
عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ ١١٦

٢٣- ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾
.... ١١٧

٢٤- ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾
.... ١١٨

٢٥- ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ١١٩

٢٦- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ
خَيْرٌۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ١٢٠

٢٧- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا
لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْۗ إِنَّا جَعَلْنَا
ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ١٢٢

٢٨- ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ

بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ١٢٤
٢٩- ﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ
ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ١٢٥
٣٠- ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ١٢٨
٣١- ﴿۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ
ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ ١٢٨
٣٢- ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ
فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾
.... ١٣٠
٣٣- ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن
تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ .. ١٣١
٣٤- ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٤﴾
.... ١٣٣
٣٥- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ
عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ ١٣٤
٣٦- ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ ١٣٥

٣٧- ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم
مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ
قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ ١٣٦

٣٨- ﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ
أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ
أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾
.... ١٣٧

٣٩- ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا
كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ ١٣٨

٤٠- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ
ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ ١٣٩

٤١- ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ ١٤٠

٤٢- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ ١٤١

٤٣- ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى
هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟
أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ ١٤٣

٤٤- ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم
مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

.... ١٤٥

٤٥- ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ٤٥﴾
.... ١٤٦

٤٦- ﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ
أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ٤٦﴾ ١٤٦

٤٧- ﴿۞وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧﴾
.... ١٤٧

٤٨- ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ
تَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٨﴾ ١٤٨

٤٩- ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ
تَحۡزَنُونَ ٤٩﴾ ١٤٨

٥٠- ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ
قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠﴾ ١٤٩

٥١- ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا
نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٥١﴾ ١٤٩

٥٢- ﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥٢﴾
.... ١٥٠

٥٣- ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ
رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا

نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ١٥١

٥٤- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ
يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ
بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ١٥٢

٥٥- ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ١٥٧

٥٦- ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ١٥٨

٥٧- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا
سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ
ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ١٦٠

٥٨- ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ
نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ١٦١

٥٩- ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ١٦٢

٦٠- ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ ١٦٣

٦١- ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ .. ١٦٤

٦٢- ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾
.... ١٦٤

٦٣- ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟

﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٦٣﴾ ١٦٥
٦٤- ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ
كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ۝٦٤﴾ ١٦٦
٦٥- ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا
تَتَّقُونَ ۝٦٥﴾ ١٦٧
٦٦- ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ
ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٦٦﴾ ١٦٨
٦٧- ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٧﴾ ١٦٩
٦٨- ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ۝٦٨﴾ ١٦٩
٦٩- ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟
إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ
ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٦٩﴾ ١٦٩
٧٠- ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ
إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧٠﴾ ١٧٠
٧١- ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ
سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى
مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ۝٧١﴾ ١٧٠
٧٢- ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ
وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٧٢﴾ ١٧١

٧٣- ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ ١٧٢

٧٤- ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًاۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ ١٧٣

٧٥- ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾﴾ ١٧٣

٧٦- ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾
.... ١٧٤

٧٧- ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾﴾ ١٧٤

٧٨- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ ١٧٤

٧٩- ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ ١٧٥

٨٠- ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ ١٧٦

٨١- ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ

مُّسۡرِفُونَ ﴿٨١﴾ ١٧٧
٨٢- ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ
أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ ١٧٧
٨٣- ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ ١٧٨
٨٤- ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٨٤﴾
.... ١٧٩
٨٥- ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ
قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ
ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ
لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ١٧٩
٨٦- ﴿وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ
ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ
كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨٦﴾ ١٨٣
٨٧- ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ
فَٱصۡبِرُواْ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ١٨٣
تضرّع ودعاء ١٨٥
فهرس: ١٨٧

❀ ❀ ❀